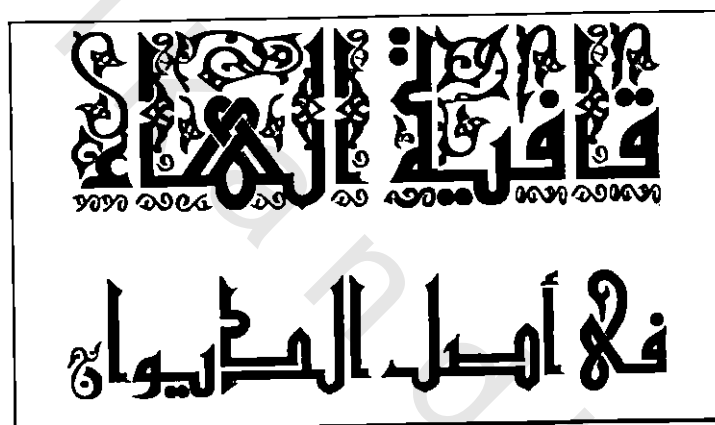




obeikandi.com

‘ ١٦٧ - العتبة والجاه ‘

أمام باب من يخلب اللب
لا حرمة لى ولا جاه
يقوم بقطع جذور لى
بنظرات العيون
لا قيمة لى عنده
كقيمة العشب
لا يلتفت إلى نظرة
تكرىما وإرضاء لله
لا أعلم شيئا عن نفسى
ما ذنبى، وما تقصيرى؟
لو أخفيت رأسى من غمه
ليس لى محباً آخر
ما جعل الله أحدا مثل عبد الرحمن
ضائع الحال هالكا

“ ١٩٢٨ ”

‘ ١٦٨ - الشح والعبادة ‘

إنك قد قضيت نهارك فى البخل وليلك فى النوم
متى ستقوم بذكر الله، يا من أصبح بيتك خرابا

إن تفهم فإن ذهابك من هذه الدنيا على عجل
فلا تكن غافلاً عن عجلة هذا العمر وسرعة مضيه
إن التنفس والقدم كلاهما بحساب ههنا
لا تضع على الطريق قدمك خطأ بلا حساب
ذكر الله حساب الإنسان على أعماله فى الكتاب
فعليك أن تعلم أن هناك حساباً وكتاباً
انظر إلى حسناتك وسيئاتك بدقة
بأى مقدار تتجاوز سيئاتك، وتتعدى الحسنات
كيف يمكنك القيام بالإجابة فى العالم الثانى
إن كنت عاجزاً عن الإجابة فى هذا العالم؟
ستذهب إلى التراب المظلم فى النهاية
إلى متى ستنفذ التراب عن جسمك بالإصبع؟
أنا أعرفك بأنك فى الأصل من التراب
يا من تنفض نفسك من التراب بالأصابع
إن لم ترتوى بالماء فى هذه الدنيا من العطش
لن يرتوى صدرك بالماء يوم القيامة
ماذا ستفعل عندما تصبح الشمس قدر رمح
إذا كنت الآن تهرب من الشمس إلى الظل؟
إلى متى ستقوم بالتنزه فى زورق من الورق
إن الموت سيقوم بإغراق هذا الزورق؟

لا ترضى يا عبد الرحمن بإيذاء أحد
إن كنت تريد النجاة من العذاب يوم القيامة

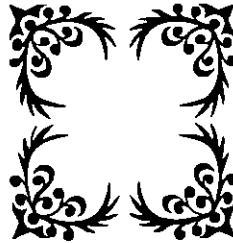
“ ١٩٤٠ ”

‘ ١٦٩ - بلا مطلب بلا أدب ’

إنك تجلس فى النهار بلا مطلب
وتنام فى الليل بلا أدب
فقد تقلعت يدك من الاثنين
من النهار، وكذلك من الليل
لا أنت ههنا، ولا هناك
وقد وضعت بين الاثنين مذبذبا
وعبادتك صارت رياء وتظاهرا
وفى المذاهب أصبحت سئ المذهب
مقيد دائما بالبحث عن السبب
ولا خير لديك عن المسبب
تحاول عبثا إخراج الزبد من اللبن الرائب
ولا علم لديك عن المطلب
إنك قد ركبت الجواد نائما
وجوادك يسير فى السفر بلا لجام
لقد أحرقت نفسك بالسيف عبثا
ووصمت الجواد بلا منصب

إن الراكب حين يسلب حريقه
فإنه لا فائدة له من المركب
إنه يجلس مع الأحياء
وهو مركب من الأموات
كبرت صغيرا فى الماء كالسمك
ولا تعرف الماء أيها السمك!
مثل الحصاة أو الفخار من الطين اليابس
ناشف الشفتين من العطش فى البحر
عديم الإطلاع وتعتبر نفسك مطلعاً
إن هذا الكلام من العجائب
المعرفة هى المراد من الزهد
وليس المراد أن يقتل الإنسان نفسه عبثاً
إن شراب عبد الرحمن من العشق
لا من عصارة الغنـب

“ ١٩٥٥ ”



١٧٠ - المحبوب والغيب

إنك شهلاء العينين سكرى الشفتين
وردى الوجه، فضضة الغيب^(١)
إنك نادرة فى النوار
وعجب عجائب فى العجائب
فى كل العاشقين والأجباء
أنت ذو العجائب المختار
حسين جميل أنت دون الزينة
منسق مرتب أنت دون التنسيق
ذلك هو عدل إلهى
من دون البحث والطلب
إن ماء الحياة^(٢) قد نال الحياة
بسبب بركة من شفقتك

(١) الغيب: قطعة اللحم التى تتدلى تحتك الحنك من الإنسان وغيره.

(٢) ماء الحياة: كان القدماء من الأفغان يعتقدون أنه ماء ينبوع فى جزيرة نائية يبحر
الظلمات، من نهل منه عاش أبدا. وفيما يروى أن الإسكندر قد سمع بذلك، فاعتزم
الوصول إليه مع خضر، ولما بلغه رآه فى الظلام كأنه خيط من فضة، ولما أراد الشرب منه
غاب عن عينيه. وهذا الماء الوهمى كثير الورد فى الأدب الأفغانى الصوفى على أنه بمعنى
المعرفة. راجع ص ١٢٠ هـ ١ من هذا الكتاب.

إن وجهك أبيض من الفجر الأبيض
وضفائك أكثر سوادا من ليلة سوداء
إن عرق وجهك حبة جوهرة
مزينة، زيتها أكثر من الكوكب
لا حدود لجمالك وحسنك
من المشرق إلى المغرب
الغور على واصلك صعب
إلا بفضل من الله الموصل
من نزل عليه الفضل من الله
فقد نجا ذلك من الغضب
هذه السعادة تنال بعدل إلهي
ولا يعثر عليها بالحسب والنسب
إن العشق ليس بعلم
يمكن تحصيله في المدرسة
إن المدرسة تعلم أمور الدين
والعشق غير المذهب
ومذهب العاشق هو
أنه لا يتنفس عبثا بلا مطلب
في وصف حسنك وجمالك
أصبح عبد الرحمن أبكم من الأدب

‘ ١٧١ - الغالب والمغلوب ’

كل قلب حين يقهره حب الحبيب
فإنه لا يناسبه بعد ذلك حب آخر
إن كل المراتب الأخرى لا تعنى شيئا
عند من يعلم مثل هذه المراتب فى العشق
إن كل إنسان لا يليق بالعشق ولا يناسبه
لأن العشق درجة من الدرجات العجيبة
احذر عن التقصير يا طالب المطلوب
مهما كان طريقك قصيرا يا طالب المطلوب
إن العشق كنز بارز، والمسكين هو ذلك
الذى غاب عنه هذا الكنز البارز
لا وجود لحظ أفضل من حظ الحسان
ولو كتبت فى ذلك ألف نوع من الكتب أيها الكاتب
لا تسأل عن أداء الفروض والواجبات
هؤلاء الذين أوجب الله عليهم العشق
يتنازل العشاق للحبيب عن أنفسهم وأموالهم
اللهم لا تجعل هذه الطائفة كاذبة
أعيش أنا عبد الرحمن عيشة تنبع من رضا صاحبي
ما فائدة هذا العبد الذى لا صاحب له؟

“ ١٩٨٠ ”

‘ ١٧٢ - العيون السوداء ’

إنك حين نظرت إلى بعينيك السوداوين
فإنك قد نفرت بذلك قلبى من المخلوقات الأخرى
إننى قلت فى تلك اللحظة التى رأيتك فيها
بأن شغف قلبى بك لن ينهزم بعد ذاك
الشيخ والزهاد الذين يخاطبوننى بالوعظ والنصيحة
فإنهم لا يعلمون شيئا من مفاتن وجهك
لا بأس، إن أصبحت فى حبك المشار إليه بالبنان
لأن حبة القاضى وكذلك الشيخ أكثر من محبتى لك
أموت غضبا بأن هؤلاء الناس يصرفونك عنى
ثم يجرون نحوك جرياليروك قبل أن أراك
أنا عبد الرحمن حين أرى المحبوب أقول: ألهم اجعل خيرا
فقد امتزج الملاك النورانى بجوهر ابن آدم

“ ١٩٨٦ ”

‘ ١٧٣ - العقل المؤثر ’

إن كان فى رأسك شئ من أثر العقل
لا تضع يدك على رأسك تحية عند باب كل أحق
إن التراب يتحول إلى الذهب بنظرة أولئك
الذين لا يلتفتون إلى الفضة والذهب

من الأفضل شرب كأس السم بلا من ولا أذى
لا أن تتحمل المن والأذى ولوفى حاجتك إلى الكوثر
عليك أن تعلم جيدا أخبار يوسف عليه السلام وبعد ذلك
تحدث بأخبار الزمن وأحواله إلى أخيك
إن هذا الفلك لم يهب أحدا من الناس شيئا ما
ولم يسترد منه ذلك الشيء مرة أخرى
اعتقد أنه من الجائز أن يرفع دعوى بمقدار مائة " من " ^(١)
من كان له فى ذمتك شيء قليل من المال قدر حبة شعير
لو تحول وجهك من الله تعالى إلى العباد
فسيحول وجهك من جنة الفردوس إلى نار السقر
وستدور من باب إلى باب مطرودا منها دائما
ولن تعثر على مكان للمعيشة والسكنى أبدا
لهذا البدن الضعيف منة على عبد الرحمن وفضل
حيث لا يستطيع الذهاب من بابه إلى باب آخر

“ ١٩٩٥ ”

■ (١) من: مقياس وزن يساوى ثلاثة كيلو غرامات تقريبا، " من " هذه مستعملة فى كتب الفقه
الإسلامى بمعنى كيل أو ميزان قدره ١٨٠ مثقالا شرعا، و ٢٨٠ مثقالا عرفا.

‘ ١٧٤ - النظر والحيرة ’

عندما أنظر إلى وجوه الحسان الجميلة
أحتار مثل المرأة بسبب هذا الأمر
من دهشته لا أستطيع أن أستفسر عن الدليل
الله يعلم: ماذا عساه قد قال الدليل
ياع فيه أهل الخلوة والاعتزال كالعبيد
لا تعلو أصواتهم فى سوق الحسن والجمال
إنك تسألنى عن حقيقة الحبيب
من الذى يروح بأسرار الحبيب إلى الأغيار؟
إن آلام العشق وهمومه ليست بمقدار
يمكن أن يصل عقل أحد إلى معرفة مقداره
أنا وحبيبي عندما نعد ونخصى همومنا
فلاننى أحتار لهمومه، وهو يحتار لهمومى
إن أمور الدنيا تتم كلها فى أوانها
إن غموم حبيبي لا تتركنى إلى أوانى
متى يتفرغ عبد الرحمن من العشق
حتى يصغى بأذنيه إلى الناصح المتفرغ؟

“ ٢٠٠٣ ”

١٧٥- الدهر والصراع

إننى قد صفعت هم الدهر بقدمى
والفضل فى ذلك يرجع إلى كأس الخمر
إذا كان ماء الحياة^(١) فى ظلمة سوداء
فإن أصحاب الوجوه البسيطة أعطونى إياه فى الضياء
ذلك الحبيب الذى أعطانى كأس الخمر
فإننى قد شربت دماء الأعداء دون صعوبة
إن الإغماء أنقذنى من غم الدنيا
ووجدت الطريق خارج الجهات الستة
إننى أضحك من عداوة العدو ساخرا مبتهجا
كالشمعة التى ضحكت وابتهجت من خصومة المقراض
أعتبر كل الشرور والأضرار خيرا وفائدة
أجلس فى فم الأسد فارغ البال من الخوف
الموت أفضل لمن ليست لديه المروءة
اللهم لا تجعل أحدا فى العشق بلا مروءة
الملك المشوى الذى يحترق بالنار يقصد بذلك
أن يحترق بالنار أفضل من أن يفقد المروءة

(١) ماء الحياة: يعتقد أنه ماء من شرب منه شربة عاش أبدا. راجع ص ١٢٠ هـ ١ من هذا الكتاب.

إن الإنسان يتذكر الله عند ابتلائه بالمرض
فالابتلاء بالمرض ليس أقل من العبادة
متى يمكن العثور عليه بالتدبير والبحث
ذلك العمل الذى يتوقف إتمامه بالعناية الإلهية؟
إن وجهه إليه أحد مائة نصيحة
لا يلقى بأذنيه إلى نصيحة أحد
أنا عبد الرحمن مغلول بأغلال مائة حلقة من الضفائر
أضيفت إليها حلقة الپيزوان^(١) وكذلك حلقة النته^(٢)

“ ٢٠١٥ ”

‘ ١٧٦ - الجمال اللانهائى ’

لا حدود لمحاسن وجهك ومفاتن جماله
لذلك ليس لى مجال للصبر والتجلى
لا تخف على حياتى، ولا على مالى
لأنه لا خوف لى على الحياة ولا على المال
وإنما سبب خوفى الذى يهزنى وأرتعش
لأن فى الخوف منك ثواب ولا وبال فيه

(١) الپيزوان: الأفغانيات يزين أنوفهن بأنواع من الحللى منها “ الپيزوان ” الحللى التى تعلق فى

الحاجز الفاصل بين المنخرين وتندلى على الشفتين راجع ص ٤٢٢ هـ ١ من هذا الكتاب.

(٢) النته: نوع من الحللى لتزين أنف المرأة الأفغانية.

لو وعدتني لأجل عمل ما بعد ساعة
فإنه لا أمل لي في ذلك العمل لمدة سنة
انظر إلى أحوال الشهداء، ما أحوالهم؟
فإن حالتى من غيرك هى تلك الحالة لا غيرها
إن نور عينى وضياءهما هو مشاهدتك
لا وجود فى هذا البيت لمصباح أو لشمعة أخرى
إنك أنت شجرة السرو على ضفة نهر عينى
لا وجود على شاطئ هذا النهر لفرس آخر
إن وجهك بتلاً جالاً دون الخط والخال
بحيث لا حاجة له إلى الخط ولا إلى الخال
لو نظرت إلى وجهها لوجه أيها الحبيب
فإن فى رؤيتك ثواب وأجر بعيدة عن الوبال
إن فى وجه الشمس زوال فى كل يوم
لا زوال فى شمس جمالك وحسن الكمال
لقد جذبت الحبيب إلى بمذبة الحب
بحيث لا حاجة لي بعد ذلك إلى الدليل
إن عبد الرحمن منشغل بذلك انشغالا
بحيث لا وجود فى قلبه مكان لموم الوصال

“٢٠٢٧”

‘ ١٧٧ - وجه وشمس ‘

لو قلت: إن وجهك شمس، فإن الشمس ليست لها صفات مفرقة
ولو قلت: إن قامتك شجرة السرو، فإن شجرة السرو لا ترحل ولا تسير
كل من يقول: إن وجهك الشبيه بالنار وردة
فإنه يقول كلاما عقيما حيث لا يوجد وقار الروضة في وجه النار
يقول الناس بغير حق: إن صفاتك أزهار السنبل يا خالب القلب
حيث إنه لا علاقة ولا تشابه بين العشب والمسك
إننى عندما سمعت بأذنى نباح كلاب عتبتك
فإنه لا توجد بلبل في المرج. مثل هذا الكلام العذب
إن رؤيتك تعمل عمل ذلك الذى لا رأس فوق جسده
لأنه لا سبيل لصاحب الرأس للوصول إلى حور الجنة
لن يوجه الله الحبيب وجهة الرقيب المتنافس يا عبد الرحمن
لأنه لا غرض ولا عمل أبدا للكلاب مع الملائكة
“ ٢٠٣٣ ”

‘ ١٧٨ - لا خسران ‘

من سحب يده من الربح لا يرى الخسران
لا ضريبة على الدرويش ولا غرامة
من أراد شراء الوفاء فليذهب إلى جهة أخرى
هذه البضاعة لا توجد في دكان الزمان

الفراق ينشأ من الصداقة والمودة
عديم الصداقة لا هم له من الغم ولا الفراق
إن الأمن والأمان فى تسليم النفس إلى الله
وإلا فإنه ليست هناك جهة أخرى للأمان
أين أبحث وأطلب ذلك الحبيب
الذى ليس له منزل ولا مقام فى أى مكان؟
مهما زاد عدد من يخلب القلوب فى العالم
ليس لحبيبي الذى خلّب قلبى مثيل فى العالم
الذى له قامّة رشيقة، وغدائر، وشفائف حمراء
لا وجود لمثل هذا الشمس فى السماء
إن العشق للعاشق الوطنان روضة
لا طريق للخريف إلى حديقة هذه الروضة
إن كل العاشقين سلاطين فى العشق
لا وجود فى هذه المدينة للمسكين والضعيف
من يصدق فى العشق ويخلص كالمجنون
فليس هناك حارس يحرس باب ليلى
العقلاء هم الذين يفهمون قول عبد الرحمن
ليس هنا عمل لكل من ليس بأهل ولا بفاهم

“ ٢٠٤٤ ”

١٧٩- لاشئ غير وجه الحبيب^(١)

لا شئ يوجد فى الدنيا غير وجه الحبيب
كل ما يوجد هو رؤية الحبيب، لا شئ آخر
حين أنظر وأفكر فى فراقه ووصاله
أحدهما جهنم والآخر روضة الأزهار، ولا شئ آخر
مصانع هذه الدنيا التى تشاهد وترى
كلها نتيجة لعمل العشق، لا شئ آخر
كل رمشة من رموشها يعمل بجسمى وقلبى
أقول لنفسى: كأنها ذو الفقار^(٢) بعينه، لا شئ آخر
حين يأخذ الرجل الشجاع الغدائر من وجهه
فذلك كنز وثعبان أحدهما، لا شئ آخر
إلى متى سأقوم بوصف حسنات المحسن ومدحه؟
فأقول بالاختصار: بأنها بلا حساب، لاشئ آخر

(١) ديوان عبد الرحمن ١٣٦ تحقيق لفيف من علماء الأفغان، أكاديمية پشتوكابل
١٣٥٦هـ ش/ ١٩٧٧م، ولا يذكرها ديوانه مقدمة عبد القادر، أكاديمية اليشتو، پشاور
١٩٨٧م، وكذلك ديوانه مقدمة سيد رسول رسا، وكالة الكتب الجامعية، پشاور
١٩٧٦م/ ١٣٩٦هـ

(٢) ذو الفقار: اسم سيف على بن أبى طالب رضى الله عنه.

إلى أية جهة توجهت بأذن القلب بدقة
وجدت سوق المحبة والمودة قائمة، لاشئ آخر
حين تتم مشاهدة وجهه الأبيض وغدائره السوداء
فذلك هو الكنز والثعبان، لاشئ آخر
كلما عرضت نفسى على أى طيب يقول:
إن العشق هو مرضك، لاشئ آخر
إن أحب عبد الرحمن الضعيف شخصا آخر
فإنه يستحق القتل، لاشئ آخر

“ ٢٠٥٤ ”

‘ ١٨٠ - الاحتياج ’

إنك تعلم جيدا ما فى قلبى من الاحتياج
فلماذا تسألنى، وتقول: ماذا تطلب أيها المحتاج؟
كنت قد علمتك ما للطالب^(١) والمطلوب^(٢) من أسرار
لو كنت لا تعلم هذا الزواج والتقليد
لا بأس فى أن الحبيب لا يقول أخباره للحبيب
لأن الأمزجة المخفية مكشوفة على الحكيم

(١) الطالب: العاشق، أو الصوفى الزاهد الذى يطلب ويبحث عن الحب الإلهى أو العشق

الإلهى. راجع ٢٢٤ هـ أيضا

(٢) المطلوب: هو المعشوق، وهو الذات الإلهية عند أهل الزهد والتصوف.

إن كنت تسألنى عن حالتى، فإن حالتى
هى: أن نهارى أشد عتمة من الليل المظلم
كيف كان فى استطاعتى أن أستمّر فى الحب
لو كنت أعلم ما لبعذك عنى من غارة السلب والنهب
إن كان يقبل دعاء واحد من كل مائة دعاء
فما جعل الله أحدا مريضا معتلا بلا علاج
فليصب البلاء عبد الرحمن، إن كان مريضا حزينا
عش أنت منشغلا ومهتما بتختك والتاج

“ ٢٠٦١ ”

‘ ١٨١ - الكأس والراح ’

عندما علمت ما فى كأس الساقى من الراح والنشاط
فالتقيت بذلك بالأرواح كالأموات
عندما أرى ضفائر الحبيب فى المنام
يهطل على المسك فى الليل حتى الصباح
إن الصبح يبشر العاشق المهجور بالوصال
يتم العثور على أخبار الوطن من السياح
إن جعلت المعشوقات^(١) شرب دماء العشاق مباحا
فمن الذى يستطيع أن يخرج عن صلاحية الحسان؟

(١) المعشوقات: من إضافتى، وهى واضحة فى السياق، ويقتضيها المعنى.

كل ساق من السقاة يحمل فى يده كأس العشق
فإن كأسه هذه مباحة لسكارى "العشق"^(١)
من يمدح الوجه دون حب، فلا يمكن ذلك
من يعلم قدر الممدوح من غير المداح؟
عروسة الدنيا التى تطلب الدين فى عقد الزواج
احذر يا عبد الرحمن، من مثل هذه العروسة والزواج

"٢٠٦٨"

' ١٨٢ - لم الابتعاد دائما؟ '

لماذا ابتعدت للإعراض عنى دائما؟
لماذا أنت مستنفر منى كل صباح ومساء؟
إننى أدعو لك أنت كل صباح ومساء
فلماذا تداوم أنت على أن تشتمنى دائما؟
تعيش دائما كالحيوان الوحشى فى وحشة
لماذا لا تتركن إلى الهدوء معى لوقت قصير؟
تبتعد عنى وتذهب دائما إلى الأمام
كالعمر لا تخطو خطوة للعودة، فلماذا ذلك؟
قل وأمرنى، وسأقوم بما تأمر به
لماذا تقوم بمنح الجائزة للرفقاء المتنافسين؟

(١) العشق: كلمة أضفتها وفقا لمقتضى الحال.

أدعوك لوجه الله: اتق واجتنب الرقيب
لماذا تقوم بخلط الحلال والحرام معا؟
إن عبد الرحمن يعشق وجهك بلا غدائر أيضا
فما الجدوى من نشر شبكة الصيد له، ولماذا؟

“ ٢٠٧٥ ”

‘ ١٨٣ - لماذا تزيد المغموم غما؟ ’

لماذا لا تنظر إلى نظرة صدق صحيحة؟
لماذا تزيد المغمومين غما وحزنا؟
حين يرانى العالم مغموما بغمك يبكى
فلماذا تبكى العالم أكثر من ذلك؟
لا أفهم ما مطلب شفائفك الحمراء
التي تشرب دم قلبى كل لحظة، فلماذا ذلك؟
قل لعينيك السكراتين وتحدث معهما
لماذا تقومان بقطعى إربا إربا؟
إن الظالم حين يظلم، يعلل ظلمه بحيلة
فلماذا تظلمنى أنت، وما سبب ذلك؟
إرادة الله بألا يسعد الشخص بدون الحبيب
فكيف أعيش أنا سعيدا متهيجا من غيرك؟
أنا عبد الرحمن ألوم نفسى بنفسى حيث عشقت
فلماذا تلومنى بقية العالم، ما سبب ذلك؟

اسأله قليلا: كيف حال قلبه..
لماذا تتساقط القطرات من عيني عبد الرحمن؟

“ ٢٠٨٣ ”

‘ ١٨٤ - ماذا أقول؟ ’

إن تحدثت عن الهجران ماذا أقول؟
ماذا أقول عن هذا الألم العضال؟
لا طاقة لي لأتحدث إلى الحبيب
وإذا لم تكن لدى الطاقة، فماذا أقول بلا طاقة؟
عندما أراه لا أعلم شيئا عن نفسي
وإذا لم يكن لدى خبر عن نفسي، فكيف أقول؟
ليس هناك تحدث أو تنبأ عن حال القلب
ماذا أقول عن عديم الحديث والأثر؟
سر العشق الذي لم يبينه أحد أبدا
فماذا يمكنني أن أتحدث عن هذا السر والبيان
إنني من غم حبيبي غريق في الدموع كاملا
ماذا أقول عن مثل هذا الطوفان من الدموع؟
أنا الذي وقع ساقطا في تنور الهجران
ماذا أقول عن روضة أزهار الوصال؟
ينهب حياة الإنسان وثروته ويغتم قلبه
ماذا أقول عن مثل هذا الخاطف للقلوب؟

يدعو الغربان ويطرد البلابل عن الحديقة
ماذا أقول عن بستاني حديقة هذا الدهر؟
كل ما أقوله فإنه أفضل وأحسن من الكل
أنا عبد الرحمن ماذا أقول عن المحبوب؟

” ٣٠٩٣ “

‘ ١٨٥ - الصمت والصيت ‘

ماذا حدث إن كنت صامتا عن التأوه البارد
فإن الناس جميعا يعلمون حينا المتبادل
لا داعى لأن يتفاخر أحد معلنا عشقه على اللسان
متى تخفى الشفائف الناشفة واللون الأصفر؟
إن أهل الدنيا كلهم عديمو المروءة، أضاعهم الله!
أدعو الله ألا يتلى أحد بلقاء عديم المروءة
متى يمنح شخص قلبه لعديمى الألم فى العشق؟
إننى أقدم مائة من عديمى الألم صدقة لنوى الألم
من غير مجمع أتربة (مزبلة) شهداء عشقك
متى ينبت شقائق النعمان الأحمر فى غبار كل تراب؟

إن خوش حال^(١) وتسعة وتسعون من قبيلة "ختك"^(٢)

فداء فرد^(٣) واحد من أفراد عبد الرحمن السربني^(٤)

" ٢٠٩٩ "

' ١٨٦ - حبي لغيرك حرام '

إن حبي لك أيها الحبيب ليس بخطأ
فحبي لغيرك ليس بجائز، إنه حرام
من ينظر إلى غير وجهك الجميل
فإن مرآة نفسه قذرة ليست بصافية
كل عاشق يذرف الدموع رغبة في لقاء الحبيب
فإن هذا البكاء كله ضحك سعادة وليس بيبكاء

(١) خوش حال: أو " خوشال " شاعر قدير وزعيم بارز ينتمي إلى قبيلة ختك الشهيرة كانت

له صولات وجولات مع المغول. راجع ص ٣٣٩ هـ ٣ من هذا الكتاب.

(٢) ختك: قبيلة من القبائل الأفغانية المشهورة تنتمي إليها أسرة الزعيم الشاعر خوش حال

خان (خوشال خان) وقد ترامت زعامتها إلى خوش حال خان نفسه الذي كان ينافسه

عبد الرحمن في زعامة الشعر والأدب.

(٣) فرد: يحتمل أن يكون المراد منه فرد من شعره الجيد، ويحتمل أن يكون المراد منه فرد من

أفراد قبيلته السربنية.

(٤) السربني: سربن قبيلة من القبائل الأفغانية الشهيرة منسوبة إلى جدّها الأعلى " سربن " بن

قيس عبد الرشيد. راجع ص ١٧٨ هـ ٢ من هذا الكتاب.

من يتفاخر بمشاهد الدنيا الخلابة بدلال
فإن هذه النزهة يتمتع بها اليوم، ولن يجدها غدا
إن كنت تعاملنى بجفاء مائة مرة
فإن جفاءك كله وفاء وليس بجفاء
لقد انقضى الزمن الذى كنت أسرق فيه الحب
وقد افتضح الآن فى العالم كله وليس بسرقة
إن تم العثور على المعشوقة ببذل الرأس
فإن ذلك بالنسبة لعبد الرحمن بلا ثمن

“ ٢١٠٦ ”

‘ ١٨٧ - التيسم للأغيار ’

التيسم مع الأغيار غير مطلوب
التعامل بالتجارة مع الأغيار غير مرغوب
مائة صداقة تقام لأجل حبيب واحد
الأنس مع كل صديق غير مقصود
القبیح مع القبيح والطيب مع الطيب
الرفاء مكان الجفاء غير مطلوب
سيثنى عليك كل بلبل إن أصبحت وردة
ثناء الإنسان على نفسه غير مرغوب
إن العشق ييوس كالرائحة وفمه مقفول
الغرغاء فى هذه الأمور غير محبوب

إن داء العشق كله راحة للعاشق
البحث عن الدواء لئلا هذا الداء غير مقصود
بين العشاق والحرص على الميول النفسية بون بعيد
الهواء الشديد لنفس العليل غير مطلوب
إن العشق عمل نادر الوقوع فى العالم
إلا أن التعامل فيه مع غير الله غير مسموح
قسماً، إن فعلته لا اعتبره شيئاً
إن التعلق الشديد بالدنيا ومتاعها غير مقبول
يسمع أن حب الدنيا ومتاعها بلا نفع
وعندما رأته ثبت أنه غير مفيد
إن عشت أنا عبد الرحمن فى الدنيا طويلاً أيها الحبيب
فإن حياتى وعيشتى بدونك غير مطلوب

“ ٢١١٧ ”

‘ ١٨٨ - إياك وكاشفة الوجه ‘

تنبه! من الذى سيتلقى ضربة حجر صلد على قلبه
حيث تسير سكرانة نشوانة كاشفة عن وجهها؟
إنك حين تطلب وردة المودة من البستان
عليك أن تكون أولاً على علم بشوكة الهجران وعقدته

إن كان الطالبون^(١) غير راضين فهم فى الواقع راضون
فإن الطالب لا ينال هذه النشوة بدون مطلوب^(٢)
إننى قد شاهدت رستم الدهر بعينى
يذرف الدموع من جور حبيبه كأرملة
إن سبب نخافة العاشق وضعفه
هو انتفاخ قلوب فرقة العشيقات بشدة
ماذا سأفعل بحور الجنة بدون الحبيب؟
ما جعل الله سرور أحد من الناس صفصافا
لن يزول عن ذاكرتى ساعة الشدة عند الفراق
وإن امتلأ قبرى المظلم نشوة وهوى
أنا عبد الرحمن أدعو الله لذلك الحسن والجمال
الذى يجتمع عنده مؤتمر المحبين والعشاق

“ ٣١٢٥ ”

(١) الطالبون: عشاق النور الإلهى، أو الزهاد الذين يبحثون عن الحب أو العشق الإلهى. راجع

ص ٢٢٤ هـ ١ من هذا الكتاب.

(٢) المطلوب: هو المقصود الذى هو الذات الإلهية عند أهل التصوف والزهد. راجع ص ٣٢٦

هـ ٤ من هذا الكتاب.

‘ ١٨٩ - الجور والوفاء ‘

إننى حين شاهدت جور الحبيب وجفاءه
كيف أطمع فى الوفاء من الأغيار؟
كيف يطمع أحد فى الوفاء عن العدو
حين يصبح الغم مضعفا من يد الصديق؟
إنه لا يؤلم كثيرا إن قام الظالم بالظلم
والحيف فى أن يتحول المعشوق ظالما مؤذيا للقلب
هذه الشكوى تكون بكثرة من هؤلاء
الذين يكونون مطمع آمال طيبة كثيرة
الأمر متروك لك الآن.. أتقوم بالجفاء أم الوفاء؟
فقد انخلعت كلتا يدي عن الاختيار
إن الطالبين^(١) ملومون عند المطلوب^(٢)
ما جعلك الله أيها الوفى عديم الوفاء
إنك لا تلتفت بنظرة إلى أحد من الحياء
التفت بوجهك قليلا لإرضاء قلب عبد الرحمن

“ ٢١٣٢ ”

(١) الطالبين: عشاق النور الإلهي. راجع ص ٢٢٤ هـ ١ من هذا الكتاب.

(٢) المطلوب: الذات الإلهية. راجع ص ٣٣٦ هـ ٤ من هذا الكتاب.

‘ ١٩٠ - الربيع والفراق ’

جاء الربيع وحل موسمه وأنا مفارق عن الحبيب
واحسرتاه، ثم واحسرتاه! يمضى الربيع دون الحبيب
نار القلوب المجروحة التى تشتعل فوق قمة الجبل
فتزفع أعمدة الدخان الملتهب من الصنوبر والصفصاف
هل هذا عجز وضعف حيث اكتب على الورق؟
انتبه واتق إيذاء قلوب العاشقين
ليست هذه بدموع تسيل عن العيون
إنها دماء تتدفق عن جرح قلب الضعيف
إن مرضى الشديد يشترى على فى كل وقت
فلاجل الله أيها الطبيب أقدم وإلا فمت
إن الجبال تنهار وتهدم حين تعلم بحالى
بحر من الدموع يجرى آتيا من أرض الجبال
كل ذلك ليس إلا بسبب صرخات الفراق
فأقدم إن أردت سماعها من كل وتر من أوتار الرباب
إننى ضعيف مهان فى العشق يا عبد الرحمن
بحيث لا ينظر إلى الأغراب ولا الأقارب من العار

“ ٢١٤٠ ”

‘ ١٩١ - المصطنع فى المودة ’

إننى مصطنع كاذب فى مودتك من الرأس إلى القدم
أيها المحبوب حيث أعيش حيا رغم آلام غمك الشديد
كان مؤكدا أن أموت من شدة غمك منذ زمن
غير أن النفس بيد الله وحده أيها المدلل
لم أكن قد قبلت الفراق عن الحبيب لحظة واحدة
لو وضع أحد الموت والفراق معا وخيرنى بينهما
إن غدائك السوداء ليلى، ووجهك المنير سحرى
ولا تسألنى بعد ذلك عن الليل، ولا عن السحر
حين علمت برصالك، وكذلك بهجرانك
فلا علم لى بعد ذلك لا بالفردوس ولا بالسقر
بدون وجهك أصبح على النهار ليلا مظلمة
أين ومتى يكون نور النهار بدون الشمس؟
ما أصبح أحد من الناس فاقدًا أسباب الحياة
مثلنى أنا بلا أسباب، وبلا رأس
غير مقبول فى نظرك فن من فنون فضلى
ولو تفننت وأتقنت فى عشقك مائة فن
لا تؤثر دموع عبد الرحمن فى الحبيب أبدا
ما جعل الله دموع أحد من الناس بلا أثر

“ ٢١٤٩ ”

‘ ١٩٢ - العار والطعن فى العشق ’

لا عار لى من الطعن أو اللوم فى العشق
لا حذر لى ولا خوف كالمشوى المحترق بالنار
كأنه يضع ختم الشمع على فم البحر المحيط
ذلك الذى يمنعنى من الثورة وهيجان العشق
لا كد لى ولا تعب آخر غير الهجران
غير أنه لا يوجد كد آخر غير هذا الكد
فكما أن الله قد جعلك جميلا بالضرورة
كذلك جعلنى عديم الصبر جزعا بالضرورة
من الذى يقبلنى بين الأسود والأبيض
لو لم يكن وجهك أبيض وقلبك أسود؟
ماذا أقول عن سوء أخلاق الرقيب
فشاهده أكثر سوء عندما ينضم إليه الحبيب
إن دينه أكثر صعوبة من دين الموت
التوبة والأمان من دين الفراق الأسود!
هذا نصيبى وطالعى الذى يلاقينى
وإلا فكيف ومتى يصل الغم إلى المغموم؟

سيحظى بملك واسع من القاف إلى القاف^(١)
من يحظى بظل من ظلال غدائك
إن العشق يجعل الإنسان مجنوناً يا عبد الرحمن
وإلا فمن الذى يترك بيته وهو عاقل

“ ٢١٥٩ ”

‘ ١٩٣ - أين جمال الحورية من جمالك؟ ’

لا تبلغ الحورية إلى روعة جمالك
كيف تصل الخادمة إلى منزلة السيدة؟
لا ترتفع إلى علو قامتك ولا تعلو
أشجار صنوبر والعرعر والنخل
والسرو مطرق الرأس خجلاً من قامتك
والشمع بلا نور فى مواجهة وجهك
كل من ينظر إلى حسنك وجمالك
فإن الملاك غير منظور فى نظره
حين وضعت خمر الشفائف فى الأفواه
فقد جعلت طائفة أهل التصوف سكرانة

(١) القاف: أو القاب اسم جبل وهمى لا وجود له فى الحقيقة والواقع، وهو كناية عن البعد الشاسع أو العلو الشامخ. وقد قيل إنه عبارة عن جبال قفقاز، وجبال قفقاز هذه هى جبال “ هندكوش ” الشاخنة العالية كما يقول الأستاذ أحمد على كهزاد فى كتابه تاريخ أفغانستان ١: ٣٨٣ - ٣٨٥. راجع ص ١٨٠ هـ ١ من هذا الكتاب.

قل لى الآن: كيف أمدحك بالثناء عليك
فقد فقدت شعورى فى عشقك؟
إن لم تكن هذه جذبة العشق فماذا تكون؟
هل يمكن لأحد أن يخرج عن العادات والتقاليد؟
والآن لماذا سأقبل منة السهر
حيث أحضرت لى محياك فى المنام؟
إذا كان الابن أقل غيرة وناموسا من البنت
فليكن الابن العديم اللياقة فداء للابنة
إذا كان الابن افضل من البنت مائة مرة
جعل الله أم مثل ذلك الولد "عديم اللياقة" تكلى
إذا كان الابن أكثر شهرة وقدرًا من البنات مائة مرة
فليكن الابن العديم الجدارة صدقة ونذرا للابنة
الأحسن أن يكون للإنسان أبناء عم غيورون وإلا
فإن بنت العم الغيورة أحسن من ابن العم
إن جمال المحيا بدون العشق غير مجد
مثله مثل شجرة ذات أوراق كثيفة بلا ثمر
من يتقمص بلباس النحل، هل تم الجهاد
ما حصل أحد على العسل بدون النحل
يعز على عبد الرحمن الحسان كثيرا
من يعرف قدر الطبيب غير المريض؟

‘ ١٩٤ - فى سكرات الموت ’

حين تقوم بخلع لحيتك وقت سكرات الموت
فلماذا جالس أنت اليوم بدون تفكير فى التدبير؟
كل من يرى أن أمامه خطر الغم فى المستقبل
من هم ذلك الغم يعيش منذ اليوم حزين الفؤاد
حين تتحسر غدا ندامة على نصائح المرشدين
فلماذا لا تبحث عن المرشد من اليوم يا عديم المرشد
كيف تتمكن ذكرى الحبيب من المقام فى فؤادك
إن لم تقم بإبعاد ذكرى غير الحبيب من الضمير؟
أنت تبحث عن لقمة العيش ناسيا ربك
أين ومتى يكون الزهد هكذا أيها الزاهد؟
بدل الله غمك هذا بالسعادة والسرور
ما حزننت فى البحث عن الحبيب أيها الحزين
مهما كان عدد الحسان فى العالم كبيرا وكثيرا
فإن حبيب كل عاشق من العشاق بلا نظير
كل شخص يسير فى ضوء ذلك الوجه
الذى يكون منزل خاطره منيرا بذلك الوجه

إن العشاق بتأثير الشفائف الياقوتية اللون
ينامون ويعيشون دائماً فى النار والماء^(١)
أنا عبد الرحمن أبحث بحثاً عن الحرية الطليقة
لا التحرر من سلسلة الغدائر السوداء على كل الأحوال

“ ٢١٨٤ ”

‘ ١٩٥ - العشق وفقدان الشعور ’

إننى فى عشقك قد فقدت شعورى فقداناً
بمىث لا أقبل ولا أوافق على قول من الأقوال
يقول الأطباء: بأن الصبر هو الدواء لدائك
إلا أن الله تعالى قد خلق طائفتنا عديمة الصبر
تشد السيوف فى كل مكان وزمان ضد العدو
إلا أن عينيك يا حبيبى تقتلان الأصدقاء بالسيف
اجتمعت معشوقات العصر ومحوبات الزمن معا
فقامت بالإغارة على منزل فؤادى ونهبته نهبا
لست أنا وحيدا منفردا فى الابتلاء بغمك بالضرورة
بل إن العشق قد خلق بالضرورة للإبلاء
يأتى نور النهار بعد كل ليلة وفقا لنظام الكون
إلا أن الفراق قد جعل عمري كله بلا نور

(١) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الأولى للضرورة المعنوية

إن قمرى الوجوه لا يوفون بالعهد مع أحد أبدا
هذا القول هو القول المشهور فى العالم
كل الذين يعلمون الحال يعضون أصابعهم بالأسنان
ما نبأك الله بحال المهجور فى الحجران
يحرس نفسه عن أذى عيون الرقيب السيئة
كل عاشق محظوظ بالاستفادة من الحضور^(١)
إنه قطعة سوداء من الفخار فى نظر الأدعياء
فلئننى لو أجلسته فوق السرير فهو ملاك
إن رطوبة عينى عبد الرحمن ستجف فى وقت
إن جفت فيه رطوبة جرح من أصيب بالناسور

“ ٢١٩٦ ”

(١) الحضور: مقابل الغيبة. وفى اصطلاح أهل التصوف: الغيبة عن الخلق والحضور عند الحق،
ويسمون مقام الوحدة حضورا، وقال بعضهم: إنه حضور القلب لدى ما يخفى عن العين
وذلك بصفاء اليقين.

١٩٦ - قال قلبى^(١)

كان قلبى يقول لى دائما: ابك ابك
اطلب الحبيب الراحل بصراخ البكاء
وللبحث عنه ألبس مئزر^(٢) عدم الغيرة
واخلع ملابس الكرامة ولفها بإحكام
إن كنت راضيا بعلو مقام الحبيب ورفعته
فتوجه ضاحكا مبتهجا على الرأس
إن هذا الفلك الذى يدور كالرحى
لن يترك فى العالم حبة واحدة قائمة
اعلم، أن كل ما يوجد فى العالم من الأحياء
سيقوم بقطع رقابها بسيف الآجال

(١) ديوان عبد الرحمن ١٤٨، تحقيق لفيف من علماء الأفغان، أكاديمية البشتو، كابل ١٣٥٦هـ ش / ١٩٧٧م. ولم يأت ذكر هذه المقطوعة فى ديوانه مقدمة مولانا عبد القادر، أكاديمية البشتو پشاور ١٩٨٧م، ولا فى ديوانه مقدمة سيد رسول رسا، الكتب الجامعية، پشاور ١٩٧٦م / ١٣٩٦هـ.

(٢) مئزر عدم الغيرة: فى الأصل الأفغانى "مئزر مصليات عدم الغيرة" ولقد قمت بحذف كلمة "مصليات" احتراماً. والمراد من "مئزر عدم الغيرة" مئزر العار. أى أبعاد العار عن فكرك والبحث عن الحبيب.

الحجاج يمسكون بأيديهم حبال ستائر الكعبة
ليت لو أمسك عبد الرحمن كلتا غديرتى الحبيب^(١)

“ ٢٢٠٢ ”

‘ ١٩٧ - حيناً وحيناً ’

حيناً يحترق بالحر وحيناً يرتعش من البرد
حيناً يموت جوعاً، وحيناً يموت شبعاً
كل من أتى إلى هذه الدنيا فهو فى غوغاء
لا هدوء البال لهؤلاء الجياع ولا لهؤلاء الشباع
حيناً يضعون أيديهم على الرؤوس إظهاراً للتواضع
وحيناً يضعون أيديهم على السيوف إظهاراً للمواجهة
تراب آدم الذى قام الملائكة بتخميره
قد لوثوه وخلطوه كله بالغموم والآلام
لا بأس، إن قام أحد اليوم بالضرب والتقييد
فإنه سيواجه من يضربه ويقيده بالأغلال
إلى متى سيدوم بناؤنا الضعيف صحيح الجسم
إننى قد تعبت وعجزت من أعمال المساندة والبياض
يتبغى أن يضحك بعد الموت فى لحده
من بكى وذرف الدموع بنفسه فى هذه الحياة

(١) غديرتى الحبيب: المراد الضفيرتان اللتان تتدليان على طرفى الوجه عند الأذنين.

أرى أن الجميع راحلون، ولن يبقى أحد أبدا
سيرحل مسافرا على هذا الطريق شابا كان أم شيخا
كل الناس يطلبون غداثر الحبيب بالحاح
الكبار والصغار، والعظماء والفقراء
من تم قبوله عند بابه فهو حسن الحظ سعيد
ومن تم طرده من بابه فهو سئ الحظ شقي
قد وجه إليه الدعوة مئات مثل دعوة عبد الرحمن
يعلم الله من الذى قبله ذلك المحبوب؟

“ ٢٢١٣ ”

‘ ١٩٨ - الدنيا والدمار ’

ستحول بنفسك مرغما إلى الخراب يا بازار الدنيا
تطأ كل نفس تحت أقدامك بغارة الفراق
ما فتحت البرعومة عينيها فى الحديقة بعد
حتى قامت ريح الخريف بتدمير منزل فؤادها
هبّت ريح الفناء والهلاك بجيـث
أسقطت قبعة شقائق النعمان من الاضطراب

كيف البلوغ إلى عظمة الباز^(١) وطائر الهما^(٢)
لو قام طائر "خراره"^(٣) بالذكر الشفهي مائة مرة
لو مر بها ألف ومائة سنة فى الماء
لن تلين الأرض الحجرية الجامدة ليونة
الفناء أفضل من مثل العمر الذى
تتحول حالة كل عمره إلى سكرات الموت أو نزع الروح
الأفضل أن تكون مسجوناً يا عبد الرحمن بدلاً من الحرية
إن وقع قيد ضفائر المحبوبة فى عنقك

" ٢٢٢٠ "

(١) الباز: أو البازى جنس من الصقور تميل أجنحتها إلى القصر، وأرجلها وأذناها إلى الطول.

ومن أنواعه: الباشق والبيدق.

(٢) الهما: طائر وهمى يقال ويعتقد باطلا أنه إذا وقع ظله على أحد صار ملكاً. راجع ص ٢٨٣ هـ ١ من هذا الكتاب.

(٣) خراره: نوع من الطير لونه يشبه الزراب، يعيش فى الصحراء، وهو فى حجم طائر الحجل المعروف، أو أصغر منه قليلاً، لم أعرف اسمه باللغة العربية.

‘ ١٩٩ - الأهداب السوداء ’

حين تفرق الأهداب السوداء فى الماء من ألم القلب^(١)
فيتهدم المنزل بأثاثه بقطرات من رطوبة القلب
يتحدث بغموم القلب وهمومه إلى ذى الأهواء النفسية عبثا
ماذا يفهم الأطفال الصغار من غموم القلب الجريح وهمومه؟
لقد قمت بربط عيون القلب المجروح ربطا محكما
ذلك لأمنعها عن النظرة إلى وجه آخر غير وجه الحبيب
المرغوب الذى يستقر تحت قدميه العرش والكرسى
كذلك الأمر فى قدم القلب فإنه أعلى شأننا وأرفع منزلة أيضا
إن هذه الكعبة كعبة القلب أعلى وأعظم شأننا من كعبة الخليل
إن قام أحد بإعمار حرم القلب الحرب فإنه أعظم من الخليل
إن كان الناس الآخرون يضعون أقدامهم فوق الأرض
فإننى قد رفعت قدم القلب ووضعته فى السماء فى العلو
هذا المكان والفراغ الذى هو كائن بين السماء والأرض
فإن هذا المكان خلوة مناسبة للانفراد وسلم لصعود القلب
ممن يمكننى أن أطلب المرهم والدواء النافع من غير الله؟
لأنه ليس فى مقدور الأطباء أن يقوموا بعلاج القلب بالمرهم

(١) ألم القلب: ألم ترجمة لكلمة ”يم“ الأفغانية، ومهما حاولت معرفة معناها فى القواميس المتوفرة عندى لم أجد لها معنى يناسب هذا المقام، فترجمتها بالألم.

إن أصحاب الأنس والتمتع المادى الجسدى كثيرون فى العالم
غير أن عبد الرحمن الجريح القلب لا يحصل على أنيس الفؤاد

“ ٢٢٢٩ ”

‘ ٢٠٠ - قم أيها الساقى ‘^(١)

انهض أيها الساقى وقم بإعداد كأس الخمر^(٢)
إن الحياة لا تتعطل، تسير وتمضى سريعة
إن سيفك يلف من عنقى فى كل لحظة ويدور
كل نفس فى خوف ووجل من سيف نفسها
لا بلاء أكبر وأخطر من بلاء الأنانية
كن خادما فى بلاط من تنازلوا عن الأنانية
هذا العمر القصير (عمر خمسة أيام) فرصة طيبة
عليك أن تشكر الله على هذه النعمة
إن كنت تطلب من يشاركك فى الغم والحزن
فعليك أن تختار زجاجة مملوءة من الخمر

(١) الساقى: عند أهل التصوف هو الفياض المطلق، ويطلق على المرشد الكامل. راجع
ص ١٦٣ هـ ١ من هذا الكتاب.

(٢) الخمر: عند أهل التصوف بمعنى العشق الإلهى فى نشوته. راجع ص ٣٢٥ هـ ٤ من هذا
الكتاب.

ما دمت تعيش فى الدنيا وعينك مفتوحتان
عليك أن تشاهد محبوبك كل ساعة
من الذين لا يلفقون بالتهم الباطلة؟
لا تلق بأذنك إلى أحد، واقض عملك
كل أجاب هذا الزمن عديمو الوفاء
والذى سيصبح حبيبك بعد الموت اتخذه حبيبا
إن المدعى يقول كل ما يأتى على لسانه
فعليك أن تصغى بأذنك وعقلك إلى كلام المحبين
يقول عبد الرحمن: إن الدنيا وشؤونها فانية
عليك أن تعير اعتبارا لهذا الكلام وتثق فيه

“ ٢٢٣٩ ”

‘ ٢٠١ - التنازل عن الإرادة ’

حين خلق الله حبيبى لك وجعلنى عشيقا لك
فقد قمت بالتنازل عن إرادتى منذ ذلك اليوم
والأمر الآن متروك لك إن كنت تحفو أو تفنى
أما أنا فقد قبلت جورك بدلا من وفائك
من الذى يرضى أن يشتري الورد بالجواهر والياقوت
من غيرى أنا حيث كنت أبكى وأنت تضحك ؟
من غيرى أنا الذى يشتري غمك وهمك بالهوس
من هو الشخص الذى يتاجر بهوس الغم والهوس ؟

لا يوجد فى العالم أحد قد رأى حبيبين اثنين
معاً.. أحدهما يشتم الآخر، والآخر يدعو له بالخير
إننى قد جعلت ظهري للعالم كله وتوجهت إليك بوجهي
وأنت توجهت بوجهك للعالم كله وجعلت ظهرك إلى
إن الهنادك فى العالم كثيرون، من الذى يذكرهم؟
والعشق هو الذى رفع من شأن "هيرو" و"رانجا"^(١)
كذلك فقد ارتفع اسمه واشتهر أكثر من الجميع
عندما وافق الغنديل وبقل راضيا جفاء الورد
ماذا يعرف عن غم الفراق من لا يعرف الحب وهمه؟
هذا البلاء قد جعله الله من نصيب من جرب الحب
إن العشاق يذلون حياتهم فداء لكلاهما المحبوب
وإلا، فلماذا كنت أهتم بالرقباء ومحباتهم بخذر؟
أنا عبد الرحمن عندما أصبحت مداحا لحسنك وجهالك
ومن أجلك أنت فقد أصبح العالم كله مداحا لي

" ٢٢٥٠ "

(١) هيرو ورانجا: إن "رانجا" اسم عاشق، و"هيرو" اسم معشوقته، وقصة حب رانجا وهيرو مشهورة فى الأدب البنجابى بالهند، وهى تشبه فى ذلك قصة مجنون ولىلى فى الأدب العربى.

‘ ٢٠٢ - اتق الله واطمع فى جنته ‘

قم ببناء سد لماء ” باره “^(١) ثم ازرع البذور
اتق الله واخشه ثم اطمع فى الجنة ونعيمها
العقلاء يتقدمون إلى الأمام وينظرون إلى الوراء
دبر فى الدنيا للنهاية وعاقبة الأمر فى الآخرة
إن القيام بالعمل على الفور صعب بالضرورة
قبل أن تصبح فى الغربة اعمل لزداد الغربة
قبل أن يقوم أناس آخرون بتوجيه اللوم إليك
عليك أن توجه اللوم إلى نفسك قبل الآخرين
إن كان فى المقدور العثور على العقبى بأجر الدنيا
فخذ هذه العمارات، واجعلها عمارات هناك
إلى متى ستقوم بالانتظار إلى أيام القيامة
فاتخذ هذا العالم واجعله يوم القيامة على نفسك
حين يتم وزن الحسنات والسيئات فى الميزان
فخذ بنفسك ميزاناً، وقم بالعدل والإنصاف

(١) باره: اسم قرية فى ” تيراه “ بإقليم ” ياغستان “، ينسب إليها النهر الشهير الذى يمر
بجوارها، والذى يروى كثيراً من الأراضي الزراعية فى پشاور، ولأهمية مياه هذا النهر
هناك مثل بالأفغانىة ترجمته: ” الكأس الواحدة من ماء ” باره “ أفضل من مائة من من
السمن “. والمن معروف وهو كيل أو ميزان أو رطلان. ولمعرفة المن راجع ص ٤٣٩ هـ
من هذا الكتاب

لو غلبك جيش الحرص والهوى وانتصر بالقوة
فأدخل برأسك فى قلعة القناعة والرضا
ليس من الممكن أن تجعل قفاك إلى وجه الحق
إن أردت الحق ورغبت فيه فاتجه بوجهك إلى وجه الحق
انظروا أى قلب من القلوب هو "عرش الله"
دع ذلك^(١)، وقم بخدمة جميع القلوب ما دمت قادرا
الراحلون السابقون كانوا جميعا رجال مثلك
أنت أيضا انهض واعمل أعمالهم بهمة
إن الدنيا وكل شئونها فانية لا بقاء لها
إذن فانهض وفكر فى حكمة أخرى من نوع آخر
إن العشاق لا يتعالجون بواسطة الأطباء
فاذهب إلى جهة أخرى وداو هناك مشقتك
ما دمت لا تعثر على الحق فلا ترجع ولا تعد
ساعد نفسك، وأقلب العالم رأسا على عقب بحثا عن الحق
يا عبد الرحمن خذ أنت أولا النصيحة من العاقل
بعد ذلك قم بتقديم النصيح إلى الآخرين

" ٢٢٦٥ "

(١) دع ذلك: هذه العبارة من إضافتى أنا المترجم للربط بين الشطرتين.

‘ ٢٠٣ - النضارة والغم ’

إننى من غمك أيها الحبيب ناضر
مثل كل نبت ينضر برطوبة الماء
فقدت عينيّ إن جففتها من الرطوبة
إذا كان حبيبي ينضر بالدموع
لا دخل لى فى أمور الناس بدون الحبيب
كل إنسان ناضر بروحه ونفسه
إن غم الحبيب المتجدد يولد الوصل
ويشفى جرحا محروقا بالدواء والبلسم الناضر
لو تمزق قلبك وشق من الغم فلا تكن حزينا
لأن الكتاب يجعلون القلم ناضرا بالشق
إن الأحباب ذوى الحسن كالورود يا عبد الرحمن
فقد أزيل الفراق أكثرهم، والقليل منهم ناضر

“ ٢٢٧١ ”

‘ ٢٠٤ - الأزهار والنار ’

لست أرضى بالسعادة تحت ظل الأزهار الحمراء
أرضى سعيدا محترقا بلهب نار وجهك
المدينة المحترقة بالنار خاوية، فما الحكمة فى
أننى قد احترقت بنار وجهك ومع هذا سليم لم أتهدم

سأجعلك لى بأى وسيلة يمكن أن تصبح بها لى
إن وجدتكَ أنا بالصدق كان ذلك أم بالكذب
إن أردت الرؤية واللقاء فإننا موجودون اليوم فى الدنيا
لن تأتى أنت إلى الدنيا مرة أخرى ولا أنا
هذه الرعود الطويلة التى تعد بها أيها الحبيب
ليتنى وجدت فرصة أخرى فى هذه الدنيا
إنك لا تنظر إلى أحد من شدة الحياء
فقد قطعتنى شدة حيائك إربا إربا
حينما لم أمت من غمك وهمك وحزنك
قبائنى حجر أو حديد، بل قل كأنتى لست آدميا
ليت لو كان فى الإمكان النزول إلى القبر زوجا زوجا
فبكائى على أنه إما أنت لا تكون فى القبر وإما أنا
بسبب كثرة دموعى وسيله العارم
أدور دائما أكثر اضطرابا من الفلك والرحى
لو قاس أحد دموعى الغزيرة ووازنها بدموع أخرى
لثبت أننى أسير عائما كالقش فوق البحر
ليس فى مقدورى أنا عبد الرحمن ثناء الحبيب ومدحه
فليتنى لم أكن فى هذه الدنيا ناطقا

“ ٢٢٨٢ ”

‘ ٢٠٥ - أقبل يا راحة الفؤاد ‘

أقبل أقبال يا راحة فؤادى
أقبل يا قامة السرو يا لطيف البدن
كل الحسان يتبعونك ويقتدون بك
فأقبل أقبال يا إمام الكل
من غيرك لا كرامة للعشاق
أقبل أقبال يا كرامة المشتاقين
يعلم الله هل سيأتى مثل هذا الوقت مرة ثانية؟
فأقبل أقبال إننى أخاف من الأيام
اليوم وقت إن كنت تجفرو أو تفى بالعهد
فأقبل أقبال، إن الأمور لا تتم فى غير وقتها
هذا العالم رباط من الربط للمسافرين
أقبل أقبال، فإنه رحيل رحيل من هذه القرية
يا ملاك الوجه، يا سنبل الشعر، يا ملكى الخلق
أقبل أقبال يا عنبرى الرائحة يا زهرى اللون
دع الليل فإن نهارى بدونك أصبح ليلا
يا بدر عبد الرحمن أقبال أقبال

“ ٢٢٩٠ ”

‘ ٢٠٦ - حبيبي كالشمس فوق الشمس ‘

إنه فى زمنى ظهر معشوق وسيم من العدم
كأنك تقول: أشرقت شمس فوق شمس
إما أن يكون طالعا سعيدا للزمن وإما أن يكون طالعى
حيث ظهر معشوق مثل هذا الوجه الحلو المليح
حين بشره القاصد بوجود يوسف المفقود
عاد النظر إلى عيني يعقوب ورجع إليه مرة ثانية
لست أدري هل هذا عشق أم فساد
هذا الذى ظهر فى العالم من شر الاضطراب والغوغاء؟
يا ليت لو لم تنبت نخلة العشق أصلا
حيث ظهر من غصنها ثمر الغم والهم
ما علم جماعة الملائكة بغم العشق ومشاقه؟
أنا الذى ظهرت أمامه مشقة هذا السفر الصعب
أحدهما استغناء الحسان والآخر آلام العشق
فقد ظهر بذلك جرح آخر فوق جرحى
كيف يسعد بالفرح أبو ابن غير لائق
حيث ظهر من صلبه مثل هذا الابن اللئيم؟
لن يتم شفاؤه من داء العشق مرة ثانية
كل من ظهر فى بدنه أثر غم العشق وهمه

الفن الذى يجعل الفضل عيبا والعيب فضلا
هذا الفن هو الذى ظهر فى زمن عبد الرحمن وعصره

“ ٢٣٠٠ ”

‘ ٢٠٧- شق الصدر جرح القلب ’

منذ أن أصبح شق الصدر وجرح القلب من نصيبه
من ذلك الوقت بدأ الجرس بالشكوى والصياح
حين وصل نداء العشيق إلى العاشق
فنهض من نوم الغفلة واستيقظ قائما
إن عبادة المرائى والمنافق غير مجدية
فإنه كالضفدع يموت فى النهر جيفة
إن زهد الجاهل لا يعد زهدا مقبولا
فإنه مثل مال الخمار الذى يصرف على الخمر
إن مشقة الجهلة وعملهم كله عقيم بلا ثمر
فإن ذلك العمل كسحاب بلا مطر تحول إلى غبار بلا نفع
إن علم العلماء الذين لا يعملون بعلمهم
مثل كنز الكتب التى حملت على ظهر الخمار
الناصح الذى يوجه النصائح إلى من ليس بمجدير
فإنه ما الفائدة من نصيحة مثل هؤلاء الناصحين؟
إن كلام عبد الرحمن فى أذن من لا فضل له
كالدرة فى يد الطفل أصبحت بلا ثمن

“ ٢٣٠٨ ”

٢٠٨ - اعتزال الدنيا فى الدنيا

اعتزل الدنيا فى الدنيا وانزرو فى ركن منعزل
كن كدودة "سمندر"^(١) وردى الخد فى النار
إن رغبت فى الحياة بعد الموت أجعل رأسك قشا
وبرأسك المقطوعة اجعل من نفسك مرجا جديدا
ماذا ستفعل بهذا الماء المر من البحر
كن بنفسك ذا رواء كرواء الجواهر ومائه
لا تقبل لغير الله منة لأحد
كن فوق حجر صلد شجرة كشجرة أرض صلبة
فإن طلبت الأزهار والأثمار كالشجر
اجعل نفسك فى الشمس ظلا لكل متواضع
إن كنت تقوم بإتمام عملك يدا بيد
قم أولا بإتمام عمل غيرك قبل عملك
إن خفت من ضعفك وعجزك واضطراب حالك
ساعد الضعفاء والعجزة، وكن عليما بأحوالهم
إن دار فى خاطرك هواء الجنة ونعيمها
فاجلس فوق تراب على باب ذلك الحبيب

(١) سمندر: دودة تعيش فى النار. راجع ص ٣٠٨ هـ ٢ من هذا الكتاب.

إن طلبت نورا وضياء فى ظلام حالك
كن مشاهدا لغدائر الحبيب ووجهه
إن طلبت حلاوة الشفائف الحمراء وعذوبتها
فكن أحمر اللون كالرمان بدماء مهجتك
إن رضيت بأن تحضر راضيا روضة فؤادك
فاذرف الدموع غزيرة كغزارة مطر الربيع
أصبح عبد الرحمن بصيرا فى فن العشوق
من قال: إن العاشق أعمى، فقد أصبح قوله ضعيفا

“ ٢٣٢٠ ”

‘ ٢٠٩ - الفؤاد والغدائر ’

مرة أخرى أصبح قلبى أسير الغدائر السوداء
واحتل جيش الحبش الأسود يسارى ويمينى
أطلقت سهام الدعاء والتضرع فى كل جانب
إلا أنه لم يكن فى السهام سهم ليصبح نافعا
إلى أية جهة أتوجه بأذنى أسمع غوغاء ..
إما صراخ الفراق وإما كأنه قام يوم الحشر
الوعاظ يقومون بالمواعظ، ولكنهم ماذا يفعلون
حيث يواجهون ويقابلون مجانين العشوق؟
الناصح الذى كان يعظنى كالأب الخنون
برؤيتك ولقائك أصبح ذلك الواعظ كأنه ابن لى

إن الذين يلزمون عتبة بابك سعداء الحظ
ومن خرج من بابك أصبح شريدا تائها
كيف يقوم أحد بضماذ جرح العشق يا عبد الرحمن
فإن ضماده وخياطته تصبح جرحا على جرح

“ ٢٣٢٧ ”

‘ ٢١٠- لا أعلم ماذا حدث؟ ’

لا أعلم ولا أفهم أبدا: ما هذا الدوران؟
حيث أصبح حبيبي مثل الأغيار شكلا
إن الزمن يقتلني بيد الرقيب المتنافس
الذي كنت أعتبره كلبا أصبح على أسدا
إن غموم الهجران وهمومه قد عذبتني عذابا
حيث إن العمر الذي اعتبرته قصيرا صار الآن طويلا
عما أننى كنت ألعب بالسيف فجرائى
المناسب أن يقطع قلبى بسيف الحسان
لا يمكن أن يعود إلى أحد الوقت الذى قد مضى
ماذا أقول الآن بعد أن مضى وانقضى ؟
حين قمت بتناول كأس الفراق المرة
فقد أصبحت لذة الوصال مرة أيضا كالسم القاتل
عما أنه لا ذكر له.. لا بالوفاء ولا بالجفاء
لأجل ذلك فقد نسي الحبيب ذكر عبد الرحمن فى قلبه

“ ٢٣٣٤ ”

‘ ٢١١ - اشرب كأس العشق ‘

قم وارثو من كأس العشق ارتواء
اشرب الخمرة من قدح القمر والمحبة
العبودية فى البداية ثم الحرية فى النهاية
إن قصدت الحرية فاجعل نفسك عبدا
أنقذ نفسك من وحشيات الصياد المرعبة
كن بنفسك مطيعا أليفا كالدجاج
ادفن نفسك الحية فى التراب كالبنذر
إن أردت العظمة اجعل نفسك فى مقام التراب
تمتع بالعالم كله بخلق من التواضع
ومثل الأرض كن تحت الأقدام
فى عدم الوجود ابحث عن مرتبة الوجود
كن مشاهد سطحك فى الخراب والدمار
لا تقل العيب للعدو بنفسك
اقتل نفسك قبل الموت لتصبح خالدا
صاحب العقل فى جماعة السكارى لص
إن كنت خاصا عند الآخرين، كن من العوام هنا
يا عبد الرحمن عليك أن تتعلم لغة البلابل
بعد ذلك قم بمدح ناعم الجسم ورديه

“ ٢٣٤٣ ”

‘ ٢١٢ - لا تحزن لأجل الدنيا ’

لا تحزن لأجل منفعة الدنيا ومتاعها
فكر بحزن فى أمور الدين ولا تكن ملحدا
كل عقدة لها طريقة حلها يا قليل الحظ
فلا تيأس من رحمة الله ولا تكن عبوس الجبين
كثير من الأثرياء النائمين يلقطون الحبوب من الأرض
ما دام لك رزقك من الماء والحبة لا تكن لاقط الحب
كل طائر يقوم بأكل لحوم الآخرين فهو حرام
اجعل نفسك حالالا، ولا تكن كالكركى^(١) والشاهين
بالسعى والبحث احتضن الشمس كالذرة
ولا تكن موضوعا مرميا على الأرض كحجرة
لا يتم العمل بالكم الخالى مسن اليد
ضع يدك على اللحية، ولا تكن كما بلا يد
بين العشيق والغرور بعين
إن كان العشيق هو هدفك، فلا تكن مغرورا
إن سفرك فى بيتك إن كنت تفهم
فلا تكن مسافرا إلى الهند أو الصين

(١) الكركى: اسم طائر ويسمى اللقلق واللقلاق أيضا، وبالأفغانية الزانه، وبالدرية الكلنك.

تأبوتك واقف أمامك كالحصان المسرج
فلا تكن فى فكر زاد آخر من الفرس والسرج
من لا تقوى له ولا الديانة يا عبد الرحمن
لا تكن جليسا مصاحبا لمثل هذا المصاحب

“ ٢٣٥٣ ”

‘ ٢١٣ - الأمل والمستقبل ’

لا يغرنك ولا يجرأئك الأمل فى المستقبل
فرق بين نقدك ونسيئتك ولا تكن أبتر
لقد أفقد الفلك الناس آمالهم وهم فى آمال
فلا تكن غافلا عن إغارة الفلك لقطع الطريق
ملوك الدنيا يلتمسون من الفقير مطالبهم
فكن ملكا لمثل هذا الملك ولا تكن طالبا
ذق مثل طائر ” الهما “^(١) عظما جافا واجعله طعمة
لا تكن كالذباب طالبا الشهد والسكر
قرب نفسك إلى الزاب كالصدف فى البحر
لا تكن عائما كالزبد والرغوة فوق سطح البحر
إن ناعمى القلوب أعز من قساة القلوب
فكن أنت قطرة من دموع، ولا تكن جوهرة

(١) الهما: طائر خرافى كالعتقاء لا وجود له. راجع ص ٢٨٣ هـ ١ من هذا الكتاب.

إن الدواب مشغولة أيضا بذكر الله وتسبيحه
إنك ابن آدم، ولا تكن أسوأ من الدواب
إن النفس والشيطان يخرج الإنسان إلى الكفر
أرحم، وأفهم نفسك ولا تكن كافرا
إن العشاق عمى تماما لا يرون عيب الحبيب
فلا تكن أعمى تماما بالنسبة لفضل ذلك الحبيب
هذا المكان يا عبد الرحمن مكان العشاق عديمي القلوب
فلا تكن جريئا في حارة الحبيبات جاذبات القلوب

” ٢٣٦٣ “

‘ ٢١٤ - العين ودم القلب ‘

حين ظهر وتساقط دم القلب من العين
فتحولت كل الأحجار في نظري إلى الدر والمرجان
إن قلبي الحرب الذي كان يكي من غم الحبيب
فقد أصبح بعد ذلك ضاحكا كأجر أو جزاء له وفاقا
إن التواضع قد أنقذني من الآفات كلها
فقد أصبح كالتراب في عيون الأعداء
إن سم الغضب تحول بالصبر إلى الشهد
فأصبحت النار كالروضة على إبراهيم الخليل
إن العشق عدل وإنصاف للعاشق من ربه
هذا العدل لا يبدو ولا يحظى به كل الناس

حين تم نقش غدائر الحبيب ووجهه على قلبى
فصارت خراسان والهند مكانا خلوتى
إن الدواء المر هو العلاج لداء المريض
أما ألى فهو داء ودواء.. مرض وعلاج
حين وصلت إليه رائحة عرقك
جرى على وجه العطاش نهر الدموع
إن علامة استغنائه تكون واضحة
من ضحى بنفسه وحاله فى سبيل ذلك
لن يتأخر أبدا فى شق فتحة قميصه
من كان كبده مشقوقا قبل شق فتحة القميص
إن العشق مرهون جبهة الحبيب الوضاء
إلا أنه عندما عقد جبهته حصلت الخسارة
إن غم الجهلة وهمهم الأكبر هو المال
والرجل الشجاع هو الذى يفكر فى التدبير لنفسه
ماذا ستكون علامة الجهل أكثر من
أن يندم الإنسان بما صدر منه من الضربة
إن الإنسانية ليست بالمال يا عبد الرحمن
لا يصير الصنم إنسانا بمجرد صنعه من الذهب

“ ٢٣٧٧ ”

‘ ٢١٥ - العقل والحظ ‘

إن سرت وراء العقل لم يجد ولم ينفع نفعا
وإن طلبت النصر من الحظ لم يصبح نصيرا
النوم العميق الراسخ كالجبال يهرب بقطرة ماء
أما حبيى فلم يستيقظ ببحر من دموعى
يبدو أننى إنسان قليل الحظ فى كل العالم
لأن حبيب العالم كله لم يصبح حبيى
انظر الطالع.. كيف يذمنى ويمدح الرقيب
حيث إن الإنسان عنده أقل قدرا من الكلب
إن كان قد أقر العهد معى مائة مرة
إلا أن قلبى المضطرب لم يهدأ له حال
إن الغموم كثيرة أتحمّل همومها بنفسى
ليس لى فى هذه الدنيا من يشاركنى فى الغم
وإن كنت قد قدمت له مائة نصيحة
إلا أن من أضله الله فمن المحال أن يعود إلى الطريق
إن أصاب الألم قلبى، فإنه من الأمور السهلة
بشرط ألا تصيب الأذى خاطر تلك السكرانة

“ ٢٣٨٥ ”

‘ ٢١٦ - العبور والإخلاص ’

إن كان شئ من العبور يتم كل ساعة بدون مخلص
ألف مرة: واحسرتاه على عبور بدون مخلص
من قال: إنه لا يوجد شئ أعز على الإنسان من نفسه
إلا أن وجود نفسه بدون مخلص خسارة
مثل الشمعة أموت فى النهار واحترق فى الليل
إن حياتى كلها بدون مخلص خسارة
يأتى على الليل الربيع حينا والخريف حينا
أما أنا فأعيش بدون مخلص فى الخريف دائما
إن تساقط فوق رأسى ندى النور دائما
فإن ذلك بدون مخلص كتساقط الأحجار من السماء
قد مر بى كثير من غموم الهجران وهمومه
أما الآن فإنها صعبة شاقة على بدون مخلص
إن شعلة نار محبة الحبيب وردة لى
والسوردة بدون مخلص محرقة كالنار
لم أكن أرى فى الوصال موتا ولا حمى
أما الآن فإننى أموت فى كل وقت بدون مخلص
إننى فى حيرة من حياة هؤلاء الذين
يسهل عليهم العيش بدون مخلص
لا يهدأ ولا يرتاح قلب عبد الرحمن إلى أحد
فهو حيران كالغريب من غير مخلص

“ ٢٣٩٥ ”

٢١٧- كشف السر^(١)

حين علمت سر عزة نفس الحبيب وكرامته
حزنت واحتار قلبي من هذه الجماعة
كيف يطمع أحد في الوفاء من الحسان
حيث إن لفظة "الطمع" خالية من النقط
لن أضع قدمي في سفينة العشق
إن تمكنت من الخروج عن شط الغم والهـم
أقطع رأسك حتى تصبح منصوراً^(٢) لكل شئ
يصير القلم^(٣) حاداً بالقطع والتقليم
إلى متى ستقوم المحبوبة بحمل القلوب في قبضتها؟
فقد جاءت مقبلة كالبطاة البيضاء
إن غم الحبيب سيسـتقر في قلبك ساكناً
عندما تبتعد الغموم الأخرى من قلبك الأليم

(١) ديوان عبد الرحمن ١٦٣ تحقيق لفيـف من علماء الأفغان، أكاديمية الـهشتو، كابل ١٣٥٦هـ/ ١٩٧٧م، ولم يأت ذكرها في ديوانه مقدمة مولانا عبد القادر، أكاديمية الـهشتو، پشاور ١٩٨٧م، ولا في ديوانه مقدمة سيد رسول رسا، وكالة الكتب الجامعية، پشاور ١٩٧٦م/ ١٣٩٦هـ

(٢) منصور: هو الحسين بن منصور الخلاج فيلسوف صوفي، اتهم بالزندقة وصلب في بغداد. راجع ص ٢٠٤ هـ و ٢٣٩ هـ من هذا الكتاب.

(٣) القلم: المراد منه قلم القصب الذي كان رائجاً للكتابة في أيام الشاعر.

أحضر الدليل اليوم رسالة لى من الحبيب
انظرا ماذا سيظهر فى هذه الرسالة من الرمز؟
بما أن قامة الحبيب ممدودة وليست بقصيرة
لذلك فإن عبد الرحمن قد أخذ بيديه الأوسط ” ٢٤٠٣ “

’ ٢١٨ - وصمة الحرقه ‘^(١)

إن الذين احتزقت صدورهم بنار الهجران
ما علاقتهم بعد ذلك مع السكون وهدوء البال؟
هذا المكان مكان البلابل والبيغاوات
عليك أن تتعد من أزهار المروج أيها الغراب
بشمة أصبحت معطرا من الرأس إلى القدم
حيث جاءت اليوم رائحة غدائر الباز^(٢) من الحديقة
سأعيش مخمورا بلا وعى إلى يوم القيامة
إن ناولنى الساقى^(٣) جرعة من خمر هذا القدر

(١) ديوان عبد الرحمن ١٦٣ تحقيق لفيف من علماء الأفغان، أكاديمية البشتو، كابل
١٣٥٦ هـ ش / ١٩٧٧ م، ولم يأت ذكرها فى ديوانه مقدمة مولانا عبد الرحمن، أكاديمية
البشتو، پشاور ١٩٨٧ م، كذلك لم يأت ذكرها فى ديوانه مقدمة سيد رسول رسا، وكالة
الكتب الجامعية، پشاور ١٩٧٦ م / ١٣٩٦ هـ.

(٢) الباز: أو البازى جنس من الصقور، تميل أجنحتها إلى القصر، وأرجلها وأذنانها إلى الطول،
من أنواعه الباشق والبيدق.

(٣) الساقى: هو الفياض المطلق عند المتصوفة. راجع ص ١٦٣ هـ ١ من هذا الكتاب.

إننى سأمضى عمري كله عند بابك
بينما كانت حياة المجنون فى الصحراء
بنورك سأشوى أنا عبد الرحمن نفسى
إن تمكنت مرة واحدة من مشاهدة مصباحى الجبين

“ ٢٤٠٩ ”

‘ ٢١٩- وا أسفاه ‘^(١)

لماذا كنت أتأوه بالاستغاثة والأنين، وا أسفاه؟
لو كان الحبيب المؤنس بجوارى دائماً، وا أسفاه!
من الفراق أغسل وجهى الحزين بدماء القلب
ليته لو لم يكن فى العالم الموت والفراق، وا أسفاه!
إن البلب العاقل الأصيل يذرف الدموع فى موسم الربيع
خوفاً من أنه سيأتى عليه الخريف فى النهاية، وا أسفاه
إننى واقف أمام المشهد فى حيرة، وأرى بعينى
بأن الأحباب يرحلون عنى دائماً، وا أسفاه!

(١) ديوان عبد الرحمن ١٦٤ تحقيق لفيف من علماء الأفغان، أكاديمية البشتو، كابل
١٣٥٦هـ/ش/ ١٩٧٧م، ولا يذكرها ديوانه مقدمة مولانا عبد القادر، پشاور ١٩٨٧م،
كذلك لا يذكرها ديوانه مقدمة سيد رسول رسا، وكالة الكتب الجامعية، پشاور
١٩٧٦م/ ١٣٩٦هـ

لم أمض قليلا من الوقت فى طاعة الله
فقد ذهب عمري الذى لا يقدر بالثمن هدرا، وأسفاه!
إننى عاجز أكثر من الحدود فى التغلب على التمرد
لعل الله يعطى عبد الرحمن قوة الطاعة، وأسفاه!

“٢٤١٥”

’ ٢٢٠- واحسرتاه‘^(١)

لو رأيت ذلك الحبيب مرة واحدة، واحسرتاه!
وشاهدت المغرور حيران، واحسرتاه!
حتى أقوم بغربة العالم كله باحثا بالعقل
ليتنى شاهدت النصل مطحونا، واحسرتاه!
لقد أصبحت روضة أزهار كل بدنه أشواكا
ليتنى أبصرت الأرض الشوكية حديقة، واحسرتاه!
الجسم الصحى السليم ملك والصحة عرشه
ليتنى رأيت شاه جهان^(٢) جالسا على العرش، واحسرتاه!

(١) ديوان عبد الرحمن ١٦٤ - ١٦٥ تحقيق لفيف من علماء الأفغان، كابل ١٣٥٦هـ/ش/

١٩٧٧م، وديوانه ٢٣٤ مقدمة مولانا عبد القادر، پشاور ١٩٨٧م. ولم يأت ذكرها فى

ديوانه مقدمة سيد رسول رسا، پشاور ١٩٧٦م/ ١٣٩٦هـ

(٢) شاه جهان: أحد ملوك المغول فى الهند، واسمه الحقيقى خرم. راجع ص ٢٥٦ هـ ٢ من هذا

الكتاب.

مدينة بدنه وبنائه أصبحت خرابة مدمرة
ليتني رأيت هذه الخرابة معمورة ثانية، واحسرتاه!
كما أننى هارب بغرض الابتعاد عن الناس
ليتني شاهدت الكلب هاربا كذلك، واحسرتاه!
إن الانكسار والانهزام قد علمنى هذا الدرس
ليتني رأيت عمل المنهزمين الصحيح، واحسرتاه!
وقت الشدة قد جعل السماء والأرض سيان فى نظرى
ليتني رأيت الفرق بين السماء والأرض، واحسرتاه!
إننى حيران من حيرتى وتحيرى
ليتني شاهدت نفسى الحيرانة مبهجة، واحسرتاه!
طوبى، أن أسعد بتلاوة القرآن والحديث
ليتني رأيت القرآن والحديث فى اليد ثانية، واحسرتاه!
من يعتبر محنتى ومشقتى عيبا يطعننى به
ليتني أبصرته فى الحنة مثلى، واحسرتاه!
إن أحببى يذرفون الدموع بسبب مشقتى
ليتني رأيت هؤلاء الأحباب ضاحكين، واحسرتاه!
أتمنى أن أرى وأشاهد غدائر الحبيب فى اليد
ليتني شاهدت سدا فى طريق الهند، واحسرتاه!

يا ليتنى كنت أنسول عند باب الحبيب صباحا ومساء
ليتنى رأيت نفسى فى هذا العمل ضيفا، واحسرتاه!
إن درخانية^(١) وآدم خان^(٢) قد رحلا حاملين أملهما
ليتنى قد شاهدت تحقيق أمل قلبى، واحسرتاه!
يا ليتنى كنت فى حوار مع الحبيب وجهها لوجه
ليتنى قد رأيت هذا الفضل من الحبيب، واحسرتاه!
ليقوم بالعفو عن كل الأخطاء يا عبد الرحمن
ليتنى رأيت الحبيب عطوفا مثل ذلك، واحسرتاه!

“ ٢٤٣٢ ”

(١) درخانية: معرب درخانى، انة طاووس خان اليوسفزى، وبطلة قصة حب أدبية شهيرة فى الأدب الأفغانى تدور أحداثها العاطفية بينها وبين حبيبها الوهان آدم خان فى سهل “سمه” حيث منازل قبائل اليوسفزية فى شرق پشاور. وقد ماتت غما وهما وألما عندما سمعت بوفاة حبيبها آدم خان بالقرب من “مصرى بانده” أى “العزبة المصرية” وكلاهما مدفونان فى هذه القرية.

(٢) آدم خان: هو ابن حسن خان اليوسفزى. وبطل قصة حب أدبية مشهورة فى الأدب الأفغانى، وكان الحب قد نشأ بينه وبين “درخانية” من الصغر حيث كانا من سكان قرية واحدة، وانتهى حبهما بالفشل، فمات كل منهما بعيدا عن الآخر متأثرا بآلام البعد ومشقة الفراق، ودفنا فى قرية واحدة تسمى “العزبة المصرية” فى سهل “سمه” بالقرب من شاطئ نهر كابل الشهير.

‘ ٢٢١ - أيها الحقود ‘

إنك تحسدني من غير سبب أيها الحسود
لن تستطيع أن تنظف مرآتك بالحسد
من يرفع السيف على آخر بدون سبب؟
عمل الإنسان هذا هو الذي أهلك الدنيا
كان الورد يضحك من تنفس الببل البارد
فمزق الله الغطاء المحيط به، وشق صدره
وابيضت عين الحباب وذهب نورها أولاً لأن
الفقاعة تنفجر فوق البحر بغضا وحقد
لو جعلت البدن أرضا والقلب بذرا والدموع مطرا
فإنك ستطلع برأسك كالنخلة من التراب
ستصبح أنت على اليد (مرتفعا) على الأشجار الأخرى
لو تعلمت التحتية (التواضع) من شجرة العنب
لن تنال حرية الحسان وحكم سلطانهن
حتى لا تخرج عن حرية العالم كاملة
إن الذي سينال حياة العالم الثاني
هو من يخلع يديه من حياة هذا العالم
إن كنت تحافظ على حياتك ومالك في العشق
فأين يكون مثل هذا العشق أيها الخوف الثرثار
حين تذهب بمثل هذا الضيف العظيم إلى بيتك
فنظف قلبه فناء دارك من القمامة

لن تصل إلى التوحيد عن الشائبة
حتى يتطهر ضميرك من الإشراك
كل هذا الذى يبدو إنما هو حجاب^(١)
لأن نور جمالك أعلى من الأفلاك
لا تتخضع بالشكل الظاهرى للإنسان
انظر داخله إن كان ذا لب، أم من غير لب
الأولياء لا يظهرون فى العالم، لأنهم
يحافظون على أنفسهم بعيدين عن الأنجاس
لم يوف الفلك بعهده مع أحد ولم ينفذه أبدا
فكيف يشكو عبد الرحمن من الأفلاك!

“ ٢٤٤٧ ”

‘ ٢٢٢ - الجور والجفاء ’

إن تعامل حببى ليس الجفاء أو الجور وحده
إنه يتعامل بالوفاء أضعف من الجفاء مائة مرة
كما أننى أعشق وأحب حببى حبا زائدا
فإن حببى يحبنى كذلك بنسبة الواحد إلى المائة

(١) الحجاب: وهو فى اصطلاح الصوفية المانع بين العاشق والمعشوق الذى يمنع تجلى الحقائق.
راجع ص ١٧٨ هـ ١ من هذا الكتاب.

فقد قام ينهب القلب بالإحسان وليس بالجرور
لذلك فإن المجنون يذرف الدموع ويكي لأجل ليلاه
كل العالم يتحمل دلال وزهو الحسان
إنهم لا يتدلون ذلك الدلال علىّ وعليك وحدنا
كيف ولماذا لا ينظر عبد الرحمن إلى ذلك الوجه
الذى يقوم الملائكة بمشاهدة حسنه؟

“ ٢٤٥٢ ”

‘ ٢٢٣ - الخيمة والسيل ’

عندما أصبحت خيمته واقفة أمام السيل
فهى حباب^(١)، وانظر مشهد الحباب حتى لحظة
لا ينبغي الاعتماد على ظل صخرة معلقة والسرور به
وإن كان تحتها قدر كبيرة من الحديد
كل هذه المخلوقات السفلية ستصبح مسحوقة
إلا الذى رفع رأسه عاليا وصعد إلى السماء
إن الذى خلقه الله فى الأصل مقلوبا منكوسا
كيف وماذا يأكل من “ كان مثله ”^(٢) من مائدة الدهر؟

(١) فهو حباب: هذه العبارة من إضافة المترجم، والمقام أو السياق يدل عليها

(٢) كان مثله: هذه العبارة من إضافة المترجم، لإيضاح المعنى.

الذين جعلوا العدو كالصديق المحب
 كن في حذر من الأمل في مساعدة هؤلاء الناس
 تعال وقم بإلقاء التراب في فم النفس
 قبل أن تموت ويمتليئ فمك بتراب القبر
 كل من مات وامتلاً فمه بتراب القبر
 فقد أصبح تذوق الأشياء بعد ذلك في حكم الحرام
 إن كان الناس يهتئون ويباركون بعضهم البعض بأشياء أخرى
 فليبارك الله لعبد الرحمن في حبيبه

“ ٣٤٦٠ ”

‘ ٢٢٤ - شد البطن بالحبل ’

اربط بطنك بالحبل وشده بإحكام
 ولا تطمع في رغيف العيش من الفلك
 كل سائل يطلب الخبز من السماء
 كأنه يضع القمر المنير في الكشكول^(١)
 من يطمع في الوفاء من السماء
 فاعتبر طمعه هذا طاعونا دون شك

(١) الكشكول: أو الكچكول وعاء يضع فيه الشحاذون ما يحصلون عليه من الحسنات. يصنع من الفلز أو الجلد، أو القشر أو غيره.

يتساقط البرد مع مطره كالرصاص بحيث يكون
كل جرح من جروح أسوأ من جرح البندقية
إن أشفق عليه أحد أو أصبح رحيمًا به
فإن ظلمه وجوره أسوأ من ظلم الأزيك^(١) وجورهم
لن يشبع الإنسان أبداً إلا بالقناعة
وإن كان منزله مليئاً بالفضة والذهب
لن يصل الإنسان إلى الكمال إلا بالتواضع
وإن كانت خيمته منصوبة فوق العرش
إن كان العالم فسيحاً على الآخرين
فإنه يصبح أضيق من الشبر على ذوى العيون الضيقة^(٢)
لا رواء ولا صفاء فى أحباب هذا الدهر
ولو بحثت عن ذلك من السماء حتى السمكة^(٣)
الدموع المرة كالماء والملح بالنسبة للعاشق
ما حرم الله أحداً من الناس من الماء والملح

(١) الأزيك: من قبائل آسيا الوسطى، ومنتشر جزء منها فى شمال أفغانستان، من صفاتهم الشدة والقسوة، يقول مثل أفغانى: لطف الأزيك يساوى غضب الأفغان (قهر أفغان رحمت أزيك).

(٢) ذوى العيون الضيقة: كناية عن البخلاء والحاسدين.

(٣) من السماء حتى السمكة: يقصد البحث من أعالي السماء حتى أعماق البحر.

لا تفكر فى هذه الأفكار المملة يا عبد الرحمن
لأن أمور الدنيا وشؤونها ذاهبة فى لحظات

“ ٢٤٧١ ”

‘ ٢٢٥ - الحال والسؤال ’

من يسألنى عن حالى^(١) فى الهجر
فإن حالتى أنتى ضعيف بلا وسع
إننى فى عجلة شديدة من رؤية الحبيب
لأننى لا أرى بقاء العمر مستمرا لمدة سنة
إن لم أبذل نفسى فداء لجماله وحسنه
فإن سبب ذلك لأننى خجلان من جمال الحسان
لا تقدم إلى نصحك أيها الناصح
فإن العشق لا يبالي بالثواب ولا بالعقاب
باستثناء مدح جمال الحبيب وحسنه
لا تسألنى أبدا عن بقية القيل والقال

(١) حالى: الحال فى التصوف معنى يرد على خاطر بلا اكتساب. راجع ص ٣٣٨ هـ ٦ من
هذا الكتاب.

إننى لم أقرأ فى درس العشق شيئاً آخر
غير الغدائر^(١)، غير الخط^(٢)، غير الحال^(٣)
ما حرمنى الله.. لا فى الدنيا ولا فى الآخرة
من وصال الوجوه القمرية النيرة
إن طلب الحبيب رأسك ثمنا للقاء فلا تتردد
فقد أصدر عبد الرحمن هذه الفتوى أيها الدليل

“ ٢٤٧٩ ”

‘ ٢٢٦ - طريق الوصول إلى الله ’

لن تصل ولن تبلغ إلى الله ورسوله
حتى تهدم حد البدن الفاصل بينك وبين الله ورسوله^(٤)
وضع الله أمامك الدين والدنيا وخيرك فى الاختيار
فاخترت وقبلت الدنيا من بين الاثنين

(١) الغدائر: جمع مفردة الغديرة وهى الذؤابة، والصفيرة، وهى فى التصوف كناية عن مرتبة
الإمكانية والجزئيات... راجع ص ١٧٩ هـ ٢ من هذا الكتاب.

(٢) الخط: الكتابة والرسالة والخطاب والشارب. راجع ص ٢٦٩ هـ ١ من هذا الكتاب.

(٣) الحال: الشامة، وهى فى التصوف نقطة الوحدة الحقيقية. راجع ص ٣٣٨ هـ ٣ من هذا
الكتاب.

(٤) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الأولى للضرورة المعنوية.

ليس بلاء أسوأ وأقبح من بلاء الحرص
فقد نزل هذا البلاء السيئ على منزلك
لم تكن ساعة واحدة مشغولا بذكر الله وعبادته
بينما شغلك غم نفسك وهمها في حياتك كلها
حين تبيع الحياة الباقية الخالدة بالحياة الفانية
فبأى علم ومعرفة تعتير نفسك عالما أيها المجهول
فقد أعرضت عن الخالق، وتوجهت إلى المخلوق
ثم تطلق على نفسك عاقلا يا عديم العقول
صارت النصيحة لك مرة، وأصبحت في ذلك كالطفل
يا من تبحث عن حلاوة الدنيا حزينا مهموما
إن لم تصبح راضيا مسرورا بابتهاج النول^(١)
لن تستطيع النجاة أبدا من نول القلب

“ ٢٤٨٧ ”

‘ ٢٢٧- من أين إلى أين ’

لست أدري من أين أتى بي وأوجدنى
ثم إلى أين يبعثنى ثانية: ” بأن اذهب “؟

(١) النول: النول في الشطرة الأولى بمعنى النوال والنعم، وفي الشطرة الثانية بمعنى نول الحائك ومنواله الذى يلف عليه الثوب، فبينهما جناس تام حيث يتفق اللفظان فى النطق ويختلفان فى المعنى.

كالأعمى الذى يضع يده على كتف غيره
وهو لا يعلم شيئا عن المنخفضات والمرتفعات
فقد ابتلانى الله بطريق ضيق غير معروف
مثل لفة الخيط (البكرة) المخلوطة المفقودة الرأس
إن قلبى الحرب^(١) يهوى الضفائر السوداء
لقد وقع فى شبكة الصياد كالطير
إن العشق قد سحرنى " وأخذ بلبى^(٢)
بحيث أصبح قلبى الحجري أكثر نعومة من الشمع
لا خوف للحسان من الله تعالى ولا وجل
الغيث من عادات الحسان وتقاليدهم
حينما يعطينى خمرا^(٣) الشفاه الحمراء
وحينما يناولنى كأس السم ويأمرنى بشربها
إنك تعد نفسك بأنك من طلاب^(٤) المطلوب^(٥)
كن أولا يا عبد الرحمن كفئا، ثم اعثر عليه

“ ٢٤٩٥ ”

(١) الحرب: الثمل والنشوان.

(٢) وأخذ بلبى: هذه العبارة من إضافة المترجم للتوضيح.

(٣) الخمر: عند أهل التصوف هى العشق الإلهى فى نشوته. راجع ص ٣٢٥ هـ ٤

(٤) الطالب: هو العاشق الإلهى. راجع ص ٢٢٤ هـ ١ من هذا الكتاب.

(٥) المطلوب: هو المقصود، والمعشوق، والمحبوب. راجع ص ٣٢٦ هـ ٤ من هذا الكتاب.

‘ ٢٢٨ - الاعتماد على المال والسلطان ‘

إلى متى تعتمد على المال والسلطان
إلى متى تسير هذا السير الخلفى إلى الوراء؟
إلى متى تسير باللحية البيضاء خفية هرباً من الموت
إلى متى تقوم بالسرقة فى وضوح النهار؟
إنك تطلب الوفاء بالعهد من أحباب الدهر
إلى متى تقوم باصطياد طائر العنقاء^(١)؟
ليس فى المقدور معالجة الشيوخوخة بالعصا الغليظة
إلى متى تقوم بهذا العمل بقوة العصا؟
كيف ترجو الرحمة والعطف وأنت فى غفلة
إلى متى تقوم بمعالجة داء الناسور بالدواء؟
حين تقدم نصحك لعبد الرحمن أيها الناصح
إلى متى تقوم بالشكوى من القضاء؟

“ ٢٥٠١ ”

(١) العنقاء: طائر وهمى، معروف الاسم مجهول الجسم، ما رآه أحد قط، ومثله طائر السيمرغ وطائر الهما وطائر القنص فى الآداب والأساطير الأفغانية، كلها طيور وهمية ليس لها وجود حقيقى إلا فى الخيال والأساطير الخرافية. راجع ص ١٠١ هـ ١ من هذا الكتاب.

٢٢٩- الشمعة وعين المعشوق^(١)

إن عين المعشوق شمعة، والعاشق فراشة
يحرق بها نفسه فيصبح بيته خرابا ودمارا
إن الطرفى المعنى بحر يتكون من حب المعشوق
فصار صدف العين كله مملوءا بحبات الدرر
إن غمى الشديد قد أخرج دماء القلب عن طريق العين
إنها دماء وليست بدموع، غير أنها خرجت بحيلة الدموع
إننى أقوم بإسالة بحر الدموع من عيني
نظرا لما يقال: من إن سمك الوصال يكون فى الحوض
إن ينبوع العين أصبح صافيا بدماء غمك
لأجل ذلك فإن دموعى تسير جارية على الدوام
امنح خير رؤيتك هدية لهذا العاشق الضعيف
أنت يا محبوبى غنى بكنز من ثراء وجهك الجميل
إن دموع الفراق قد أرغمتك بالقوة يا عبد الرحمن
إنها سكرانة ثلثة بلا خوف ولا حذر

(١) ديوان عبد الرحمن ١٧٠ - ١٧١ تحقيق ليف من علماء الأفغان، أكاديمية پشتو، كابل
١٣٥٦هـ ش/ ١٩٧٧م، ولا يذكرها ديوانه مقدمة مولانا عبد القادر، أكاديمية پشتو،
پشاور ١٩٨٧م، ولا يذكرها كذلك ديوانه مقدمة سيد رسول رسا، وكالة الكتب
الجامعية، پشاور ١٩٧٦م/ ١٣٩٦هـ

إنك قد سلبت عقل عبد الرحمن بالجفاء
فلا تقم أيها المحبوب، لا تقم مثل هذه الصداقة السيئة

“ ٢٥٠٩ ”

‘ ٢٣٠ - العمر المديد وتحقيق الهدف ’

لقد أمضيت عمرا مديدا في الدنيا بلا جدوى
فليكن بعد ذلك رأسى وعتبة الأحباب
لم أتمكن من الحصول على شئ في الزهد والتقوى
فدورى بعد هذا في كل ما يحدث في الحمارة^(١)
الشيخ: والزهد والورد والوظيفة الدينية والذكر والفكر
أنا: والساقى والكأس والخمر والصنج^(٢) والنغم
إننى فى حيرة من أمر الزهاد، وهم فى حيرة من أمرى
المجنون يضحك من أمر القرية، والقرية تضحك من أمره
وليكن كنز الدر فداء قطرة واحدة من دموع العاشق
خروار^(٣) من العقل لا يساوى حبة (ذرة) من العشق

(١) الحمارة: الحانة وهى عند أهل التصوف باطن العارف الكامل، عالم الكون.

(٢) الصنج: جنك- بالأفغانية آلة موسيقية وترية معربها الصنج، وتسمى ربابة أيضا.

(٣) خروار: كلمة أفغانية وزن يعادل ٣٠٠ كيلو جرام تقريبا، ووزن خروار يختلف من ولاية

إلى أخرى فى أفغانستان، فهناك خروار كابللى وخروار قندهارى وخروار كونرى،
والخروار الأخير عبارة عن ثمانين منا مع ملاحظة الاختلاف فى تقدير المن أيضا.

إن السيف من يد الحبيب فوق حلق العشاق
يملو ويلذ مثل لذة كأس الخمر وحلاوتها
سأتوجه إلى الله لأجل التفكير فى وجه الحبيب
مالى مراد آخر فى الكعبة ومعبد الأصنام
من شدة الحب أصبحت عاشقا مفتونا بمجرد رائحة من الحبيب
يكفى قدر قليل من الماء دائما للطين المبلول
لأجل جنة واحدة يقوم الزاهد بزهده
لا يستطيع أن ينثر رأسه مضحيا لأجل ذؤابة^(١) المحبوب
حذار يا عبد الرحمن من أن تصلب كمنصور الخلاج^(٢)
لا تتحدث بأحاديث العشق السكرانة غير هيباب
لا توجد علامة أخرى للعشق يا عبد الرحمن
غير أن تصبح بلا اسم وبلا علامة، إن أردت علامة للعشق

“ ٢٥٢٠ ”

(١) ذؤابة: خصلة شعر ناصية الرأس التى تسمى بالأفغانية “أوربل” المركبة من كلمتين
“أور” النار، و “بل” الاشتعال.

(٢) منصور الخلاج: هو الحسين بن منصور الخلاج فيلسوف مسلم صوفى، قضى سنوات فى
حلوات الصوفية، ثم طاف البلدان داعيا إلى الزهد، أنشأ مذهباً فى التصوف، فقدسه
البعض وكفره البعض، فصلب بعد أن عذب فى بغداد سنة ٣٠٩هـ / ٩٥٣م. من مؤلفاته
الباقية “كتاب الطواسين”. راجع ص ٢٠٤ هـ ١ من هذا الكتاب.

٢٣١- ذرفان الدموع على عتبة المحبوب^(١)

أقوم دائما بالبكاء والاستغاثة على عتبة المحبوب
فمتى يا ترى سيكشف لى السكران عن وجهه؟
إننى واقف كالمجنون انتظر اللقاء ليلى
الآن ستأتى ليلى بالوجه القمري والغدائر المشوطة
أتيت لزيارتك، فإن لم أكن متيقنا من القلب
فإن التيك^(٢) والبيزوان^(٣) كلاهما نذر لك يا مرشدى
لقد وضعت سيف المعشوقات على عنق العاشق
فإن ذلك يبدو جميلا رائعا كالخمر فى الكأس

(١) ديوان عبد الرحمن ١٧٢ تحقيق لفيف من علماء الأفغان، أكاديمية البشتو، كابل ١٣٥٦هـ/ ١٩٧٧م. ولم يأت ذكرها فى ديوانه مقدمة مولانا عبد القادر، أكاديمية البشتو، پشاور ١٩٨٧م، ولا فى ديوانه مقدمة سيد رسول رسا، وكالة الكتب الجامعية، پشاور ١٩٧٦م/ ١٣٩٦هـ. ولعل سبب ذلك أن عددا من أشعار هذه المقطوعة الشعرية مكررة بتغيير بعض الكلمات فقط الأمر الذى أدى إلى إهمالها فى طبعتى پشاور المذكورتين.

(٢) التيك: حلية تزين بها المرأة الأفغانية جبينها، تصنع من الذهب أو الفضة. راجع ص ٤٢٢ هـ ٢ من هذا الكتاب.

(٣) البيزوان: حلية تزين بها المرأة الأفغانية أنفها، وتسمى أيضا "بلاق" تصنع من الذهب أو الفضة. راجع ص ٤٢٢ هـ ١ من هذا الكتاب.

حذار يا عبد الرحمن من أن يتم رجلك مثل منصور
لا تتحدث بأحاديث العشق الكثيرة السكرانة

” ٢٥٢٥ “

’ ٢٣٢ - رفع الحجاب ‘

لو رفع الأحباب الحجب عن الوجوه ونحوها جانباً
فإن الله سيعطى المعشوقات أجراً وثواباً عظيماً
كيف يمكن أن تكون شمس من الشمس مثل ذلك الحبيب
وإن أصبحت الشمس في السماء بالآلاف
إننى غارق فى دوامة ذقنه غرقاً
ما غرق أحد أبداً فى مثل هذه الدوامات
كما أننى فى عذاب أليم من هم غمه
ما أنزل الله على أحد مثل هذا العذاب
إن تحدثت إليه لا يؤثر فيه الحديث أبداً
ولو قمت بتصنيف كتب فى هموم غمه
يرد بإجابة واحدة على ألف سؤال منى
هكذا يقوم بالرد على الأسئلة الكثيرة
لا يتم العثور على نهاية فن مكره أبداً
فكيف يطلب أحد ويبحث عن نهايات البحر؟
لو أقفلت عينى للراحة قليلاً يقول لى:
إن الناس لا ينامون فى العشق

يغرق كل أموال هؤلاء وأملاكهم فى الماء
الذين تسيل من عيونهم سيول الدموع
إننى فى حيرة من محراب حاجبيه المنحنيين
ما المناسبة بين الأصنام (المحوبات) والمحاريب؟
إننى قد سحبت يلى من الزهد عندما
قام المطربون^(١) بأخذ الرباب فى أيديهم
إنه قد لبس الملابس الأرجوانية يا عبد الرحمن
فقد هياً بذلك أسباب قتلى مرة أخرى

” ٢٥٣٧ “

’ ٢٣٣ - إيقاد النيران ‘

إنه يطعننى ويقول فى طعنه لى إننى بلا شعور
وبذلك يقوم بإشعال النيران فوق ناصيتى
لا يوجد شئ آخر، وكل الموجود لحوم القلوب
التي تقطع وتفرم إربا إربا بسيوف المحوبات
كل نظرة من نظراته كأسد فى خلع القلوب
دائما يجرب قوته وعضلاته القوية على

(١) المطربون: جمع المطرب وهو المرشد الكامل عند الصوفية. راجع ص ١٨٢ هـ ١ من هذا الكتاب.

ما جعل الله أحدا مفتونا بفتنة العيون السوداء
إن عوالم كثيرة تضيق بسبب هذه الفتن
قام بإشعال نار الحسن والجمال فى العالم
فأحرق بهذه النار كثيرا من البيوت والمنازل
إن الرقباء جعلوا منى لصا بسبب حب الحبيب
وإن لم يكن كذلك، فهل لهم ديون على
ارتفعت صيحة عشق عبد الرحمن عالية
بحيث قامت بسببها ضجة فى كل مدينة من المدن

“ ٢٥٤٤ ”

‘ ٢٣٤- تغلب الهموم على الخاطر ’

تغلبت غمومك على خاطرى
فلوجه الله ضع أقدامك هنا قليلا
قدر قليلا دموعى الكثيرة، وقس
أين وكيف كانت هذه المياه فى جسمى؟
كل من يحيا بنفخة وردك لا يتم شفاؤه
مهما تداوى من غيرك بقراءة أوراد الحيل
لو قرأ ونفخ على نفسه ألف ألف ورد
لن يستطيع أن يغير حظه بقراءة الحيل
ليس فى مقدور أحد إنقاذ نفسه مما قدر له
وإن دخل حرم مكة هاربا من القدر المقدر

متى يمكن لأحد أن يصل إلى الهدف بسعيه
لو لم تصاحبه العناية والكرم الإلهي؟
إن الغنى عندما يحصل على كثر القناعة
ماذا يفعل بعد ذلك بالدنانير والدراهم؟
يقسم بأن يترك شأن الحسان ثم ينقض قسمه
فما الاعتماد على قسم عبد الرحمن وأمانه؟

“ ٢٥٥٢ ”

‘ ٢٣٥ - الأحياء وأمور الدنيا ’

إن الأحياء يقومون بأمور الدنيا وأعمالها
أما الأموات فتتراكم عليهم أكوام التراب
البعض يذهب إلى التراب عارى الرأس حافياً
والبعض الآخر يضع على رأسه عمامته المائلة تبختراً
ليس في مقدور شقيقتين أن يعيشا معا عيشة طيبة
بل إن كلا منهما يلحق الأذى بالآخر
تنشأ وتتفرع من غصن شجرة واحدة
الأزهار والأشواك في حديقة واحدة
كثير من الناس يرحلون عن الدنيا يومياً
بحيث ليس في مقدور أحد حسابهم وإحصاؤهم
لكل واحد من الناس دوره في الحياة يمر عليه
لا تدوم هذه الأدوار في الحياة على أحد

إن أسواقا كثيرة للأحداث الحارة مرت فى حياتى
ليس لأحد أن يبدى لى الدلال أو يتفاخر بالأحداث
إن فراق الأحباب يوجه فى كل لحظة
ضربات السيوف إلى عبد الرحمن وقلبه

” ٢٥٦٠ “

’ ٢٣٦ - اشتعال خاطر ‘^(١)

إن النيران تشتعل فى خاطرى فى السر والخفاء
عندما تماثل فى ذاكرتى وجوه المحبين
” إن الهاتف “^(٢) يقرع دائما جرس الرحيل الجماعى
أيها الشباب الغرباء شدوا الرحال واربطوا الأحمال
تعال واذهب إليه وانظر إليه ما حاله؟
لقد سقطت القبور فوق المحبين والعشاق
أنت حين جعلت هذا البشر المليح تراب صحراء
فظهرت من جسده المليح الخلسو الأشواك

١) ديوان عبد الرحمن ١٧٥ تحقيق لفيف من علماء الأفغان، أكاديمية البشتو، كابل
١٣٥٦هـ ش / ١٩٧٧م، ولا يذكرها ديوانه مقدمة مولانا عبد القادر، أكاديمية البشتو،
پشاور ١٩٨٧م، وكذلك لا يذكرها ديوانه مقدمة سيد رسول رسا، وكالة الكتب
الجامعية، پشاور ١٩٧٦م / ١٣٩٦هـ

٢) إن الهاتف: هذه العبارة من إضافتى أنا المترجم، وقد أضفتها للإيضاح، والأسلوب الشعرى
يدل عليها ويتضمنها بوضوح.

إن المحبين الذين كنت تراهم، لا يلدن الآن
لقد أصبحوا سجناء فى حصار القبور
امنح عبد الرحمن ذرة من حبك وودك
حتى لا تدخل أفكار أخرى فى قلبه

“ ٢٥٦٦ ”

‘ ٢٣٧ - ليتنى شاهدتها ’

ليتنى شاهدت مرة واحدة تلك الوجوه
ذات الأهذاب والقامات الطويلة الفارسة..
صاحبة القامة الطويلة، والأهداب الطويلة، والغدائر الطويلة
والشفاه الصغيرة، والفم الصغير، والأسنان الصغيرة
سأقوم بتقديم الشمس والقمر نذرا وفداء لها
كذلك كل ما على وجه الأرض من الأزهار الزاهرة
عندما أراها تجرى الدموع على وجهى
كالأمطار الغزيرة تنهمر من وجه الربيع الباسم
لو شاهدت ورأيت وجهها بعينى مرة واحدة
فلأننى قد قبلت ووافقت فى قلبى على تقديم النور
فى ليلة الهجران والفراق أصبح السرير الأحمر كالنار الحمراء على
ليس فى مقدورى أن أضع جنبى عليه لحظة
حين تتدلى الغدائر على خدودك البيضاء
كأنها أفاع تلوى فوق أغصان شجرة الصندل

إن يسر الله عليه غم الفراق والهجران وهمه
فإن الغموم الأخرى تبدو لعبد الرحمن يسيرة

“ ٢٥٧٤ ”

‘ ٢٣٨ - الوجه الأسود ‘

لو لم تكن أسود الوجه سيئه أيها العدو
فإن مرآة قلبى ليست بمتمسحة
إنك حين تنظر إلى بنظرة العيب
فإن ذلك كله عيبك أيها المغيوب
كل شخص يرى شكله ويشاهده فى المرآة
إن كان وجهه صافيا نقيًا أو وسخًا قذرًا
يطلق على أكل الحرام اسم أكل الحلال
ليس من الممكن صدور قول السوء من أناس طيبين
إنك حين تبين سوءات الآخرين، فإننى أخاف
من أن تعين وتحدد فى وقت من الأوقات سوءاتك
سيبدو له عيبك قبل ظهور عيب ذلك الرجل
الذى تتحدث إليه عن عيوب شخص آخر
ما زرعت من أنواع البذور ستحصل عليه عند الحصاد
إن كل شجرة من الأشجار تثمر ثمرتها الخاصة

إن أردت يا عبد الرحمن إنقاذ نفسك من العيوب
لا تسأل عن عيب إنسان آخر أبدا

” ٢٥٨٢ “

’ ٢٣٩ - العشق يجفف الدم ‘

كنت أقول: إننى لن أظهر حبى للحسان
لأن حب الحسان يجفف الدم فى الأبدان
جعل الله الحب من نصيبى من الأزل
إننى راض على هذا النصيب مرا كان أو حلوا
كل أرض تشتعل عليها النار هى التى تحترق
أما الناس الأصحاء فإنهم يتفرجون على المرضى
إن مجرد تشجيع أهل القرية لا يجدى نفعا
الرجل الشجاع الشهم هو الذى يحمل الحمل عن المغموم
ماذا أفعل بالعالم، فقد أصبحت مريدا لذلك الشخص
الذى أعطانى رسالة صاحب دلال ولطف
إلى متى أمسح عينى بقبضة اليد من هم الغم
إلى متى تتساقط دماء قلبى من الكم دائما؟
إن نار الفراق قد اشتعلت فى جسم عبد الرحمن
آن وقتك إن تساعدنى بالمدد يا ”ميران محى الدين“

” ٢٥٩٠ “

‘ ٢٤٠ - التقوى والانكباب ‘

تقول ذاكرا بلسانك مكة والمدينة
وتنكب بجسمك على ما حرمه الله^(١)
تقوم بالمراقبة معلق الرأس كالبرعومة
ومتاع قلبك فى السر منقوش بالألوان
تطلب قباء من الحرير فلا تعثر عليه
فرغما عنك لبست عباءة الدراويش من الصوف
هل عبادتك تزيد على المعاصى
ضع المرأة أمامك لترى نفسك على أقل تقدير؟
الحقد والعداوة والحرب حرام دون شك
باستثناء الحقد والعداوة مع النفس والشيطان
إن المرأة الطاهرة ذات التقوى والزهد
أفضل من الرجال ذوى الفسق والفجور^(٢)
مهمة الشجعان من الرجال محاربة النفس
لا التزين والتجمل بالخلية والفصوص كالنساء
وليكن مائة رجل فاسق ممن لا دين لهم
فداء فردة حذاء امرأة عفيفة ذات دين

(١) فى ترجمة هذه الشطرة من البيت شئ من التصرف المناسب يليق بالأماكن المقدسة.
(٢) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الأولى للضرورة المعنوية.

الرجال ذور الأعمال الحسنة أفضل وإن كانوا صغاراً
من الكبار ذوى الأعمال السيئة الأقدمين
الفاسق ذو مائة سنة فى نظر عبد الرحمن
طفل رضيع كأنه مولود ليلة البارحة

“ ٢٦٠٠ ”

‘ ٢٤١ - الوجه والإعراض ’

ما البلاء الذى قد حل حيث أعرضت بوجهك
من أية جهة ظهر هذا البلاء وجاء؟
كيف يكون يوم الإنسان السيئ، إن لم يكن ذلك
مثلما أصبح فيه ظهر حبيبي نحوى إعراضاً عنى؟
هذا إما لأن حبيبي لا يوجد فيه الحب والوفاء
أو أن الدنيا كلها قد خلت من الحب والوفاء
فقد حظيت بمحبوب مرغوب جذاب للقلوب
لا يخاف ولا يخشى من الله، ولا يتقى منه أبداً^(١)
عندما أرى حسنه وجماله أحتار من أمره
فقد ظهر لى وبدا مثل هذا المشهد العجيب
لا حد للحديث ولا الحساب، فقد تجاوز الحديث ذلك
فإن صيرى قد انتهى، وتجاوز الحساب

(١) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الأولى للضرورة المعنوية.

أصبح الاستقرار والتأخير فى الطلب حراما
وعدم الحزن أصبح فى مذهبى غير جائز
الذى قد وجهت إليه سهم دعائى
فقد أخطأت فى إصابة تلك العلامة
مثل اللوز الذى لا لب فيه ولا فائدة
هكذا أصبح دعائى بلا لب، بلا فائدة
العشق الذى كنت استرقه سرا وخفية كالسارق
تلك السرقة قد افترحت فى العالم كله
ماذا سأحصل من المعاملات التى تتم نسيئة
حتى ما كان فى كف يدي نقدا أصبح نسيئة أيضا؟
باب العودة قد أصبح أمامى مغلقا مقفلا
لم يكن من نصيبي غير هذا، وقد حصل وتم
قد منح الله تعالى لكل إنسان نصيبه
فأصبح نصيبي فى ذلك جبي لحبيبي
كيف يمكن أن تقع فى شبكة التدبير
معشوقتي التى قد أصبحت كالعنقاء^(١)؟
كيف يكون اليوم السيئ للإنسان، إن لم يكن كذلك
مثلما أدار حبيبي ظهره نحوى إعراضا عنى؟

(١) العنقاء: طائر وهمى لا وجود له فى الحقيقة، فهو فى ذلك كطيور السيمرغ، والهما والقنفس التى لا وجود لها فى الواقع. راجع ص ١٠١ هـ ١ من هذا الكتاب.

جعل العشق من وجهى الأصفر المغير ذهباً
إذن لم يكن العشق بالنسبة لى إلا كيمياء
إن الله قد وضع فى حب الحبيب حكمة ما
بحيث أصبح للعاشق الولهان داء ودواء
ليس هذا الذى ينزل من السماء مطراً
بل إن الطيور تذرف الدموع لأجل عبد الرحمن مواساة

“ ٢٦١٨ ”

‘ ٢٤٢ - التعلق بغير الله ‘

حين تقوم بربط قلبك بشئ آخر غير الله
ماذا تفهم إن كان تعلقك فى محله أم فى غير محله؟
ليس فى الإمكان أن تعيش دائماً أبداً
وإذا عشت فلإنك ستعيش مائة سنة
سترحل أخيراً وإن أصبح عمرك مائة سنة
فقل لى: ماذا ستعمل بعد ذلك يا ترى؟
لا يمكن القيام بالعمل على الفور فجأة، والشجاع يكون
على حذر وفى يقظة من العدو من زمن بعيد
إنك فى الأصل إنسان ولست بهيمة
فلا تقم بأعمال ذوى الأربعة يا ذا الاثنين

ستصبح مرتبتك مثل مرتبة الذبابة والنحلة
فلا تربط قلبك باللحوم السمينة يا طائر الهما^(١)
لا يمكن أن تشبع بالحرص والطمع بدون القناعة
يا من جلست على عرش أورنك زيب وأنت درويش
تزود بالزاد للرحيل إلى السراى المقبل يا عبد الرحمن
قبل أن تسافر وترحل من هذا السراى

“ ٢٦٢٦ ”

‘ ٢٤٣ - شهداء العشق ’

ينبغي نظر العطف واللطف إلى حالة العشاق
ينبغي القيام بالعبور لزيارة الشهداء
من الذى يسأل عن حال المريد غير المرشد
إن الآباء هم الذين يتقطعون ألما لأجل الأبناء
من الصعب الوصول إلى الحبيب بدون الدليل
ينبغي وجود مرشد الطريق فى حارة الوجوه القمرية
لم يجد أحد من الناس الحظ والثروة بدون فن وفضل
الفضل والفن هو القيام بخدمة أصحاب القلوب

(١) الهما: طائر وهمى لا وجود له فى الواقع كالعنقاء والسيمرغ والقنقس. راجع ص ٢٨٣
هـ ١ من هذا الكتاب.

إننى ألاحظ بالضرورة خطراً من عينيك السوداوين
ينبغى الحذر والخوف من أصحاب القلوب السوداء
إنه لأمر طيب بأن جعل الله فى عيون الحسان دلالة
لعلها تترك أثرها فى قلوب الظالمين
لن يتشرف كل قلب بحمل علامة حرقك
هذا التاج ينبغى أن يكون فوق رؤوس العظماء
إن الحبيب يعمل شيئاً بعدم سؤاله عن عبد الرحمن
ينبغى أن يسأل الملوك عن حال الفقراء

“ ٢٦٣٤ ”

